البئـر

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان: مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف: 010003288596

بريد إلكتروني: Dream.pen92@gmail.com

البئر

محمد راشد

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٠م

غلاف: عمار جمال العبد

تصميم فني: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع: ؟؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-4

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلاً أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

البئر

رواية

محمد راشد

DREAM PEN
FOR TRANSLATION & PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

الإهداء

إهداء إلى...

من وهباني الحياة

أبي وأمي رحمهما الله وغفر لهما

إهداء إلى....

نبض حياتي مريم وحمزة

إهداء إلى.....

رفيقة الحياة... الصاحبة والسند... نور حياتنا زوجتي الرائعة

المقدمة

هيمن الصمت على جنبات الكون...

لقد مرت رياح الزمن العاتية بالأمس كما تمر كل الأحداث... نعم ذهبت من هنا وأخذت معها ما أخذت وأبقت ما أبقت... لقد اقتلعت الكثير من أوراق شجرة وجدان البشرية

فتطايرت الأوراق في كل حدب وصوب فورقة استقرت على قارعة الطريق فحطمتها أقدام المارة وهم لا يشعرون

وورقة أخرى أجبرتها الرياح على الذهاب إلى أبعد المحيطات وأكثرها وحشية فمكثت طافية لبرهة حتى غاصت في أعماق البحار والظلام

وورقة أخرى التفت ودارت حتى استقرت على شرفة أحدهم تنتظر بعض الاهتمام

مجرد نظرة... مجرد شعور بالوجودية

وقليلاً من أوراق تلك الشجرة استقر بأسفلها... فكانت المضحي فتحللت فكانت سبب في بقاء تلك الشجرة تمدها بالحياة... بالأمل... بالأحلام.. بالاستمرارية

وورقة أخيرة اهتزت وقاومت ولكنها لم تكن أبدًا أقوى من سطوة القدر... فقد سقطت هي الأخرى وأخذت تتمايل ما بين رياح شرقية وغربية وسافرت بين سطور الأساطير حتى استقرت على حافة البئر

فلم يحالفها الحظ كثيرًا... فقد هبت نسائم السراب وأجبرتها على السقوط بداخل بئر الظلام لتكمل أسطورة غامضة منذ القدم وهي أسطورة البئر

ما أجمل أن تُطيل النظر إلى النجوم.. ما أجمل ليالي الربيع.

في تلك الليلة كنتُ كعادتي أقف مساءً في شرفتي أتطلع إلى السماء ، وكنت من المحظوظين ما أجمله من صوت انه صوت الكروان... إحساس رائع... لم أشعر بملل ولا تعب من كثرة وقوفي.. فجمال النجوم ينسيك نفسك.... همومك وتعبك

وأثناء تأملي حدث شيء غريب... إنه موكب ملكي... الكثير من الحراس.. إنها الأميرة... سيدة كل النساء... شعرت أني الأوفر حظًا... نجوم في السماء.. صوت كروان... ورؤيتي للأميرة

ما أجمل أن يجتمع كل هذا الجمال في نفس الوقت

فتتبعت بنظري الموكب باحثًا عن الأميرة لعلي أراها للحظات... ولكني لم أستطع فسرعان ما مر الموكب وتتبعته حتى توارى عن الأنظار...

وعاودت الإبحار بخيالي في تلك الماسات التي تزين السماء فلم أمكث كثيرًا من بعد مرور الموكب الملكي... فدخلت إلى غرفتي الصغيرة وأغلقت ستائري واستلقيت على سريري ووضعت يداي خلف رأسي وبدأت أفكر في حبي الأزلي.. إنها مجرد حلم... وأتخيلها... إنها الأميرة نعم فكنت أحلم بها وأراها في أحلامي وبحثت عنها في جميع العيون... بحثت عنها في كل الأماكن... في النجوم والطرقات وبين سطور الروايات وفي الأحلام بحثت عنها أيام... شهور.... وسنواااات

فانتظرتها طويلاً... بطول زوال وإقامة حضارات

منتظـرًا قدومهـا كمنتظـر الغريق لطـوق النجـاة ... انتظرتها مع يقيني أنها من المستحيلات....فكيف تحبني تاج كل النساء ؟؟

وفجأة.. وبدون ترتيب تحقق الحلم واقترب منى..

نعم إنه الحلم.. الحلم أصبح حقيقة.

نعم لقد سـمعت أصوات الباب تُقرع... فذهبت مهرولاً متسائلاً من يا ترى

إنه أحد حراس الأميرة الحسـناء يحمل رسـالة ملفوفة بشريط من الحريـر الأحمر ومعطره بأجمل العطور... فعطر تلك الرسـالة انتشـر في الأجواء...

فسألته مترددًا.. متوجسًا :

قائلاً : ما هذه الرسالة أيها الحارس ؟

قال: إنها رسالة من الأميرة الحسناء

قلت له: وهل كانت تقصدني أنا بالفعل

قال: يا سيدي نحن لا نخطأ العنوان

فأخذتها منه وأغلقت الباب بإحكام

متسائلاً... محتضنًا الرسالة إلى قلبي...

كانـت لحظات... لا تنسـى.. ما بيـن فرح وخـوف وتوجس وترقب وانبهار

فأخذت بفك الرسالة ببطء شديد.. انظر باستحياء

فقد طلبت لقائي في أبعد الغابات

فانتابتني سـعادة... كسـعادة تاءه يبحث عن أغلى ما يملك ووجده بعد عقود من الزمان

فذهبت مسرعًا... كأسرع من رياح سليمان

فرأيتها من بعيد كالبدر يضئ السماء تمسك بعض الأزهار تلامسها.. فاقتربت أكثر وأكثر

فمسَكت براحة يدي ورأيتُ عينيها لأول مرة من هذه المسافة المتدنية.

فقد كنتُ أرى في نظراتها كلمه واحده وهى «لا تخاف تعال وثق بي».

فترددت كثيرًا..وفكرت مرارًا وتكرارًا.. فقررت البعد والأمان والنسيااااان.

فكلما ابتعدتُ عنها خطوة أجد نفسي أقترب منها ميلاً..... فاقتربت واقتربت مجبورًا.

ومن ذا الذي لا يستطيع القرب من عينيها رغما عنه.

فقد انحنى الجمال لعينيها.... وذاب النسيم شوقًا من ثغرها.

خجل القمر من طلتها فإذا ظهرت توارى عن الأنظار.

فكانت أقصى أماني العشاق والشعراء والحكام والمحكومين والأمراء والمسجونين.

هي الدنيا.... هي اغلي من كل الممالك والحضارات

حتى تملكت قلبي وعقلي وروحي .... فمحت الماضي وهيمنت على الحاضر وأضاءت المستقبل...

حتى تحول الحلم إلى حقيقة..

وقد وثقت بها.... وثقت بها لأبعد الحدود..... فأصبحت كالطفل الصغير الذي لا يرى إلا الأمان والصدق..فمشينا كثيرًا ومع كل خطوة نخطوها سويًا يزداد حبي... وثقتي.

فكنا نمشي تارة ونجري تارة ونهرول تارة ونجلس على هذا العشب الأملس تارة ما أجمل الإحساس بالأمان... فقد رأيت بعينها ألوان

جديدة وكأني لم أرى السماء قط ولم أرى ألوان الطيور والزهور قط ولم أشم رائحة الياسمين والزنبق والريحان والزعفران قط ما أجمل الحياة...

وفجأة زلت قدمي فهويت وهوى قلبي في مكان مظلم بعيد عن كل العيون وعن كل القلوب إلا عنها فهي شاهدتني وأنا أسقط...

فلم تتركني..وقفت بجواري حدثتني كثيرًا وحاولت أن تجعل عيني تضحك.

بالفعل جعلتني أبتسم في وسط الهلاك.... الظلام...

هي ليست كأحد سهي الأمل.... الفرحة.... الأمان

كانت حبيبة... صديقة... كانت العالم بأسرة

وبدأت تُفكر لترى حل لتخرجني من بئر الظلام...

فذهب وأتت بحبل النجاة

فاكتملت سعادتي وأصبحت أكثر وأكثر.... لأن ثقتي جاءت في محلها.

هذا هو حلمي ينقذني الآن.. وبدأت تجذبني من الظلام شيء فشيء

وإذا بي أقترب وأرى عينيها من قريب... رأيت في يديها خنجر الظلم

ورأيت في عينيها... ابتسامه غريبة..هي ليست ابتسامه حلمي الجميل

لكن ابتسامة من نوع غريب لم أراها في حياتي...

فأكاد أن أخرج من البئر... وفي نفس الوقت انظر إلى تلك الابتسامة الغريبة.

وقبل أن اخرج بخطوة واحدة قالت:

لقد أخطئت أحلامك

فضحكت بصوت عالي كأنها إعصار... طوفان عصف بوجداني..
وقطعت حبل الأمل.

فسرعان ما بدأت في السقوط.. قلبي يهوى... روحي تُسحب مني... وأثناء سقوطي اكتشفت أنها كانت وهم.... كذبه وخدعة.... خيانة وغدر.... أكتشف إنها.... كابوس

ها أنا اسقط من قمة البئر وكان المكان مليء بالأنوار..

فقلبي الآن يهوى إلى القاع شيئًا فشيئًا...

الضوء يبتعد ويتحول إلى نقطه بيضاء....الضوء اختفى تمامًا...

أصبحنا في وسط بئر الظلام....وما زلنا نهوى لأسفل...

ولكن كانت لحظات مؤلمه...

كم من أشواك الخيانة موجودة على جدران هذا البئر....

كم من خناجر الغدر المزروعة في كل مكان...

ومع سقوطه مقدار قدمًا... يصاب بجروح وطعنات في كل مكان في جسده ..وتمزق وجهه وتغيرت ملامحه.... واحترقت أنامله كلما حاول التشبث بأي شيء يمنعه من السقوط... ولكن لم يجد غير الأشواك المنتشرة في جنبات البئر فتزيد على آلامه آلام أخرى.

وارتطم فؤاده بقوة في قاع البئر

فقبع هنا في بئر الظلام ينتحب وحده _ هو وقلبه _

ها هو أصبح في القاع..... مجروح في ذهول وحيدًا ينتظر.....

ينزف من كل فؤاده.....

فهو لم يستطيع حتى النظر إلى ما يحيط به.....

ها نحن هنا في قاع البئر تمامًا....

الرؤية منعدمة... العقل توقف مذهولا

فمن شـدة الألم هو لا يسـتطيع أن يفكر في أي شـيء غير الذي أصابه من جروح... ندوب.

فظل كثيرًا على هذه الحالة...

ألم...صرخات....ندائات حتى ماتت كلماته فلم تثمر شيء نداءاته...

حزيـن... وحيـد في مكان مظلم.. بعيد عن كل القلوب.. عن كل العيون.... عن كل الأصوات.. عن كل العقول.

ظـل هكذا سـاعات.. أيام... أسـابيع... شـهور... سـنه... سـنتان.... سنوات.

ها هو ما زال جالسًا... يسند بظهره على الحائط... يسند يديه على ركبتيه.... يضم ركبتيه إلى صدره.. يتمايل إلى الأمام وإلى الخلف... ينظر إلى ما أصابه ويتفحص نفسه..

فكل ما وجده كان وجدان ممزق.. وجه مشوه.. قلب تغير.. عيون منكسرة يكسوها حزن دفين

وبدأ يحدث نفسه قائلاً:

نعم.

نعم غزت مدينتي..... واحتلت قصوري

ورفعت راياتها على شرفتي

وجلست على عرشي وألقت خطاب النصر قائلة:

لقد نصبت نفسي سلطانة عليك

فانا ملكتك... حبيبتك... طفلتكُ التي تُحبها مهما أسـاءت إليكَ.... فأنا الحكمة والجنون..

لقد نصبت نفسي أميرة على خزائن مشاعرك..وحارسة على قلبك فبيدي سعادتك وشقاءك...

فأنا الأرض والمنفى... وبأناملي سأكتب تاريخك...فبدوني

فبدوني لا تشرق الشمس... ولا يكتمل القمر... ولا يظهر الشفق... ولا ترى قطرات المطر

فعبقي أجمل من عبق الياسمين والريحان

فبدوني..

فبدوني لا تعُزف الألحان ولا تُرى الألوان ولا تبدأ الأعياد

نعم فأنا سلطانة قلبك

أنا الآمرة الناهية... وبدون عيني لا ترى الأحلام

فأنا

فأنا شراع سفينتك.... فبدوني لا تبحر سفينتك من تلك الميناء

فأنا سجانتك وجلادتك...

فأصبحت. وحيدًا... مجروحًا.. مخدوعًا... نازفًا من أعماق قلبي البريء.

فأصبح حزينًا....

أعتاد الوحدة.. اعتاد الألم... اعتاد العذاب..... واعتاد الصمت

حتى تعود على تلك الأشياء فأصبحت جميعها أمراض مزمنة... مثل الإرث الكبير فسيظل على عاتقة حتى خروج أنفاسه

ها هو يقف.. يسند بكفيه على الحائط ليستطيع الوقوف في مكان قد يصيبك بالألم إذا تخيلته..

نعم فهو مكان صعب أن نتخيله...

ها هو قد أصبح واقفًا على قدميه... ولكن كان في حالة مزرية....

بدأ في النظر من أسفل إلى أعلى. ثم التفت يمينًا ويسارًا...

ثم نظر إلى باقي أجزاء جسده مرة أخرى....

وبـدأ ينظر إلـى جوانب البئر إذ يجـد كثيرًا من الشـقوق الغريبة والمخيفة.. صدوع بسبب هزيمة الأيام

وأثناء قيامه بالمشي وجد تحت قدميه أقلام وأوراق... أوراق بيضاء وأوراق عليهـا دمـاء.. أوراق عليهـا قطـرات الدمـوع وأوراق ممزقـه... وأوراق نصف محترقة

هـا قد تمايـل واخذ يلملـم الأوراق الموجـودة والمتناثـرة في كل مكان..

وبدأ يقرأ في تلك الأوراق..

وفهم أن هذا البئر ما هو إلا خلاصه الحزن....

فهو عذاب... كل العذاب..

وبـدأ يقـرأ أول ورقـة وقعـت بيـن يديـه.... وكانـت أول كلمـات مكتوبة في هذه الورقة:

إنني مثل الشجرة في الخريف من عمرها...

تتسـاقط أوراقهـا واحده بعد الأخرى فأحلامي تتسـاقط حلم بعد الآخر...

حتى أكاد أن أصبح بدون أحلام وبدون أمل في هذه الحياة

وبهذا لن يكون لدى هدف سوى أن أكون وحيدًا بعيدًا عن الناس بما تبقى لدى من أحزان

فلن تتغير الدنيا بسببي...

فـإن العمر تاه منى وغربت الشـمس وبعدت الأفـراح وقد أصبحت الحياة عبارة عن خريف فقط لا يوجد بها ربيع ولا حتى شتاء.

فهي مجرد خريف فقط

اخشي على نفسي الهلاك..... أخشى على عيني الظلام.

لكن ما يجعلني اصبر على هذه الجراح

هي بعض الأوهام وبعض الخيال الذي أبنيه في نفسي.....

وهذا الخيال عبارة عن بعض أو جزء من الذي أتمناه

من هذه الدائرة التي نعيش فيها وهو الخير والسلام والحب...

أسف جدا على أخر كلمه ذكرتها وهى الحب.....

ففي قاموس كلماتي لا توجد هذه الكلمة حاليًا لأنها لا تتلاءم مع الظروف التي أعيشها

فهذه الكلمة تساقطت منى مثل كل شيء جميل كان موجود من قبل.

وها هو الوجه الأول من الصفحة الأولى ينقضي... وبدأ في النظر في الوجه الأخر

ولكن...

قبل أن يبدأ في أن يقرأ الجهة الأخرى من الورقة الأولى...

انزل الورقة إلى أسفل ونظر إلى أعلى.... ثم تمعن النظر طويلاً واخذ نفس إلى أعماقه وأخرجه وهو يقول:لست الوحيد.... لست الوحيد

ها هو ما يزال يمسك الورقة...

ولكنه توقف عن القراءة... ووقف على قدميه

وأخذ يحدث نفسه..... وبدأ بالمشي ويده مفرودة بجانبيه لا تتحركان... عينيه تنظر إلى الأرض...ويتنفس بأنفاس قصيرة.. يمشى بخطوات متقاربة وبطيئة....يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع:

« لماذا يصل الناس إلى هذا الحد من الأحزان؟؟... لماذا الناس هكذا...؟؟ لماذا هذه الخيانة ولماذا الكذب

ولماذا يجرحونا الجميع ؟؟

و بـدأ صوتـه يعلـو وهو يتحدث...فصـار صوته يتخبـط في جنبات البئر مثل الأمواج العاتية... قائلاً :

«أرجوكم توقفوا..... لقد تعبت.... لا تقتلوا بنا كل شيء جميل».

ثـم وقـع على الأرض.... مسـتلقي علـى جنبه ويده مفـرودة أمامه... دموعه تسيل على خده.. فهي لم تكن دموع... ولكن كانت تتساقط مثل قطرات المطر المنهمر...

وأخذ يبكي ويبكي ويبكي....

فتغيرت هيئته وهو مستلقي على الأرض فكانت...

بهذه الهيئة : كف يديه اليمنى واليسـرى متلامستين وجهًا لوجه... ثـم وضعهما بين ركبتيه وهو مسـتلقي على جنبه.. ورأسـه مسـتلقية على الأرض

وعينيـه كانـت مثبتـه النظـر إلى تلـك الشـقوق والظـلام القابع بداخلها.

ظل هكذا... دقيقة... دقيقتان... ساعة... ساعات... وهو يفكر

حتى توقف عقله عن التفكير.... لقد انهارت قواه حتى لم يسـتطع حتى التفكير.

جفت الدموع من عينيه....

ثم بدأ يغمض عينيه شيئًا فشيئًا... حتى بدأ النوم يسيطر عليه

فالمكان أصبح مختلف.... هو مكان رائع.... مكان جميل..

وإذا بحبيبة قلبه تمسك بكوب من الماء وتضع أناملها الرقيقة في كوب الماء ثم تخرج يديها وترشفني بالماء... حتى استيقظت

وظلت ترشفني برزاز الماء وهى تنظر إلى وتبتسم...

ثـم مـدت يديها إلى وجذبتنـي لأنهض.... وبراحتهـا الناعمة أخذت تمسح وجهي من أثر الدموع...

ثم ابتسمت... وبصمت حدثتني بعينيها...

لا تخـف أنـت من اختـاره قلبـي... وأنت ملكـي أنـا.... فأنت أمير قلبي....

وقالت بصوت مسموع «هل تستطيع اللحاق بى»

هو سعيد.... هو يشعر بانتشاء..... هو مثل الأطفال

و بدأ في الركض خلفها مثل الأطفال وإذا هم يلعبون سويًا..

والمـكان مليء بالأزهار... في كل مكان... والفراشـات كانت تتسابق معنا.. ما أجمل ذلك المنظر ما أجمله..لم أره في حياتي قط...

ها أنا اقتربت منها.... سوف ألحق بها

هههههه... لقد سبقتك... لقد سبقتك....

ثم توقف وهو متعب من الركض..

تمايل.. ووضع يديه على ركبتيه ونظر أليها.. وهو يحدثها....

تعالى معي.... تعالى معي لأريكِ شيء.. لطالما تمنيت أن يشاركني أحد به...

وأخذ بيديها وذهب بها إلى مكان جميل....

انه شـلال عالي... بجانبـه رزاز الماء... وها هي ألـوان الطيف... ما أجملها.

ومن حول الشلال الصخور التي تكسوها الأشجار والزهور.....

وإذا بشجره الحب على جنب...

فجلسا تحتها... وأخذ ينظر أحداهما في عين الآخر...

ها أنا أرى نفسي بعينها.. وهى ترى نفسها في عيني...

بصمت..

لكن العيون تحدثت بأجمل الكلمات...

العيون.. عبرت عن أحاسيس ليست تعبر عنها أي كلمات...

فقالت له... تعال وسابقني مرة أخرى.....

وضحكت كطفل يضحك ضحكات بريئات ووقفت وها هي تركض مرة أخرى....

وضحكت أنا الآخر...

وبدأت أنا الآخر بالركض...

ها أنا اقترب منها.... ها أنا سأسبقها مرة أخرى.

لقد اجتزتها بمسافة بعيدة ثم نظرت وجدتها تقف مبتسمة بفخر..... بكبرياء..... بفرحه فقد ابتسمت من اجلي

وفتحت زراعيها وقالت ارجع قليلا فانا منتظراك هنا

عود إلي مسرعًا يا حلم كل الأميرات...

فابتسمت ورجعت إليها مسرعًا كطفل يركض مطمأن لا يخشى السقوط ولا يخشى الهلاك

ومدت راحة كفيها البيضاء الناعمة كنعومة الماء

ولكن.. قبل أن ألمس يديها

هويت في البئر..... وهوى قلبي

خفقان.... خذلان.... وأحزان

ها هو يسقط إلى القاع مرة أخرى...

وبمجرد سقوطه في قاع البئر... بدأ يفتح عينيه شيئًا فشيئًا...

وبدأ في الاستيقاظ.. رويدًا رويدًا

شعور رائع أن أراها حتى في الأحلام لقد كلمتني... وكلمتها

وقالت لي.... أجمل الكلمات

ما أجمل ذلك الشعور.... ولكن

سرعان ما ذابت تلك المشاعر والأحاسيس الجميلة....

عندما نهض والتفت من حوله.... تذكر أنه ما زال موجود في..... بئر الظلام

فابتسم ساخرًا قائلاً.

« ماذا تريدين منى.... أرجوكِ اتركيني... وحيدًا.. بعيدًا.... في تلك الزنزانة الفردية "

وبدأ يبحث عن أصدقائه... إنها الأوراق

وتمايل وأخذ ورقة ليقرأها...

وكانت تلك الورقة عبارة عن رسالة وكلمات

يعبر بها حبيب إلى حبيبته عن مشاعره وأحاسيسه..

ولكن تساءل لماذا هذه الرسالة هنا معي في بئر الظلام ؟؟

يبدو أنها لم تصل...

لأنها موجودة بين يدي الآن.

أو قد تكون وصلت لحبيبته ولكن حبيبته ألقت بها هنا...

أو حتى انه بعدما قام بكتابتها قام بقذفها في هذا البئر لأنه لا يملك القدرة على مواجهتها وذلك... لخوفه الشديد للعواقب..

أو تكون قد سقطت من بين مخالب الحمامة..

لأني أرى أن مخالب تلك الحمامة موجودة على تلك الرسالة...

فتوقف في التفكير مؤقتًا عن سبب وجود هذه الرسالة هنا....

وبدأ بالقراءة

وكانت أول كلمات الرسالة...

إلى أميرة قلبي..... إلى ابتسامة شفتي

إلى ربيع عمري..... إلى وجداني

إلى فتاة أحلامي.....

كم من الزمان وأنا ابحث عنكِ...

وكم اشتقت إليكِ....

إلى متى سأظل تائهًا متخبط في دنياي ؟؟

غربت الشمس عنى..... واحتل الليل عمري

وسيطرت الأحزان على قلبي.....

أين أنتي ؟؟!!!!!!!!!!!!!

ليال كثيرة تمضى.... وأظل كما أنا أبحث عنكِ

فما زلت أبحث عنكِ...

في كل عين.. وفي كل وجه..وفي كل وقت يمضى.....

جفت الدموع.... وذبلت الأحلام...

فهل تصلك كلماتي ؟؟؟؟ أم تتلاشى كالسراب كلما اقتربت منكِ....

لقد اشتكى القلم كتاباتي....وعانت الأوراق من احتضاراتي....

وتعبت نفسي من الفراقِ....هذه أخر كتاباتي....

أكتبها راجيًا أن تعودي إلى حبيب مشتاق... مخلص في مشاعره...

وكلماته تخرج من قلبه قبل قلمه.....

الراسل:عاشق من مدينة الحب

ثم قال أمير بئر الظلام...

«ما أجمل تلك الرسالة... إنه حقًا يُحبها..... لقد اهتز قلبي أثناء قراءتها.....».

فما يخرج من القلب يصل إلى القلب..

فكم أتمنى أن تصل تلك الرسالة إلى حبيبة ذلك المشتاق....

لتعلم.. أن هناك شخصًا يعطيها أجمل هدية... إنه يعطيها قلبه.... وحبه..

فنظر إلى أعلى مبتسمًا قائلاً:

كم أنتِ سعيدة الحظ أيتها الفتاه لأنك تجدي إنسان يعطيكِ حبه

ثم نظر إلى يمينه ونظرة متوجهًا إلى الأرض قائلاً:

لماذا الحب دائمًا يصاحبه العذاب ؟؟؟؟

فبدأ يحاور نفسه ما بين تساؤلات وإجابات وفي الأخير لوم ومعتقدات

واخذ بالمشي مرة أخرى ويده معقودة ووضعها خلف ظهره... وبدأ يتساءل...

لماذا أنا هنا ؟؟

هل الأحلام هي التي أوقعت بى ؟؟

هل من يخلص تكون نهاية المطاف به ان يكون وحيدًا بعيدًا ؟؟

هل الحب قاسى إلى هذه الدرجة ؟؟

وأين الجميع ؟؟؟

هذه إجابات.....

لماذا أنا هنا ؟؟

لان العالم منقسم إلى قسمين..... قسم في النور....وقسم في الظلام

فالجارح مكانه في الأعلى... في القمة... والجميع ينظرون إليه بإعجاب

والمجروح...المجروح هنا في تلك المقبرة...

فأنت هنا....لأنك لا تستحق إلا أن تكون هنا

هل الأحلام هي التي أوقعت بى ؟؟

لا..... الأحلام ليست لي

فانا ليس مكتوب على أن احلم

فالأحلام ليست موجودة إلا... عند الآخرين

أما أنا... أما أنا فليس من حقي أن احلم وعندما حلمت حلم...تحقق الحلم....وأصبح حقيقة... وفي داخل الحقيقة... في داخل هذا البئر... اكتشفت

اكتشفت أن هذه الحقيقة ما هي إلا بحر عميق من الأوهام وكلما حاولت الخروج منه تغوص أكثر... وأكثر في أعماقه

نعم الحلم أصبح وهم.. الوهم أصبح جرح.. الجرح أصبح مثل تلك الصدوع كما على جنبات البئر كما على قلبي... فترسخ في ذهني الخوف من الأحلام

هل من يخلص تكون نهاية المطاف به أن يكون وحيدًا بعيدًا ؟؟

نعم من يخلص هو معي الآن...بعيدًا... غريبًا

لكن للأسف..... لا استطيع أن أغير ذلك الطبع حتى ولو كانت العاقبة دائمًا هنا في نفس المكان... هنا

هل الحب قاسى إلى هذه الدرجة ؟؟

أما زلت تتساءل... فهو السبب الأول والأخير في وجودك في تلك الزنزانة الفردية

لأن الحب والعذاب مرتبطان برباط واحد لا يفصلهما شيء

فكلما اشتد تعلقك وحبك كلما اشتد ألمك ومعاناتك

لا تسألني مرة أخرى عن هذا السؤال

وأين الجميع ؟؟؟

قد يعرف الناس ما بك.... وقد تكون دخلت في عالم النسيان....

فأصبحت مجرد طيف... وميض حدث لثانيه واحده وانتهى...

لكن.... لا سبيل لأحد أن يخرجك ويمحو تلك الصدوع المحفورة بداخلك

إذًا...

فلا تنتظر أحد..

وفي الأخير ها هو دخل في حرب مع نفسه

فقد هاجم نفسه....

وبدأ يلوم نفسه مرارًا وتكرارًا

أيامًا... شهور... سنوات

ودائمًا يكرر تلك الكلمات

أنت إنسان عديم القيمة... لذلك أنت هنا في ذلك المكان

أنت إنسان لا تستحق إلا هذا لأنك تركت عقلك وركضت وراء قلبك..... وراء السراب

وهكذا كان عقابه لنفسه...

الصمت... إن الكلام قد يريحه لكن هو فضل الصمت لأنه لا يستحق إلا العذاب

الدموع... لا تدمع عينه أبدًا لان العيون ستريحه بعض الشيء.. فيمنع نفسه من الدموع وتكون مثل البركان الثائر...

فقد أصبح يعاقب نفسه...

ويمنع نفسه من.... الكلام.... البكاء

ويؤنب في نفسه كثيرًا...

وقد ذابت تلك الكلمات من قاموس كلمات بطل الظلام

الحب....

الأمل....

المستقبل....

الثقة.....

ولقد فقد الثقة في نفسه وفي العالم بأسرة...

وما يوجد شيء أقسى من فقدان الثقة....

الثقة.. التي أعطاها لحلم عمره

الثقة... التي استغلتها أميرة قلبه..

الثقة... ماتت أيضًا لقد فقدها....

فالعالم أصبح بالنسبة له.... كتله من الشر

وجلس مرة أخرى وعاود مطالعة أصدقائه (الأوراق)

فتناول بعض الأوراق الملفوفة ببعضهم

إنها مذكرات

نعم مكتوب عليها مذكراتي

ففهم بطلنا إن هذه الأوراق هي مذكرات تروى مواقف وحكايات

وبدأ يقرأ وكانت كالتالي:

❖ ❖ ❖

«اليوم السبت الموافق ٢٠٠٣/٩/٢٠»

لقد قررت أن أكتب مذكراتي لخوفي الشديد من النسيان

(فتوقف ساكن البئر عن القراءة وقال لنفسه قائلاً: أتخشى يا صديقي النسيان ؟ فيا له من حلم يا ليتني أستطيع أن أنسى وأبدأ من

جديد... يا ليتني أنسى وأخذ يقرأ من جديد)

ولرغبتي في العودة لتلك المذكرات في المستقبل فانا أعيش بداية جديدة وهدف جديد وبدوافع جديدة.

سوف أبدأ الحديث في مذكراتي عن الأمس وليس اليوم

وتحديدًا وقت الغروب.... ما أجمل الغروب.... نعم انه نهاية اليوم.... وليست كل النهايات حزينة.... فقد تكون نهاية قصيدة رائعة... أو نهاية كتاب جميل.... أو نهاية غربة طويلة والعودة إلى الوطن والأحباء

وأروع ما في الغروب انه بالرغم من انه نهاية فهو مهد لإشراقه جديدة.

لقصة حب.... ليوم رائع..... لأمل جديد.....

في العام الماضي خضت تجربة كانت جديدة ومختلفة تجربة تمنيت خوضها وراودني الفضول كثيرًا حتى أخوضها.

فقد تعرفت إلى فتاة جميلة جدًا ليس لها مثيل فقد احترت وانأ معها ولا زلت محتار في عينيها.

عينيها جميلة ومختلفة عن الجميع فاليوم أراها زرقاء وغدا كانت ما بين الأزرق والأخضر وإذا لبست اللون الأبيض تحولت عينيها للون البني القاتم

لم أرَ عينين في جمالها عينين تختلف لونها مع اختلاف ملابسها فكانت رقيقة جدًا مفعمة بالحياة... والحب.... ضحكتها تخطف قلبك

رغبت في الارتباط بفتاة فقط لأشعر بأني شخص مرغوب فيه وأحظى بالاهتمام مثلي كمثل جميع الشباب في عمري.

سوف أعود للحديث عن تلك التجربة ولكن أريد الحديث عن تجربة سبقتها قبل أن أنساها (فأنا سريع النسيان... أنسى صنبور

الميـاه مفتـوح دون إغلاقـه..... انسـي أين هاتفـي وأنا أتحـدث منه.... نظارتـي وأنـا أرتديها... حتـى القلم الذي أكتب به انسـي أيـن هو.... كثير النسيان....)

«توقف بطل بئر الظلام مرة أخرى عن القراءة ليبتسـم قائلاً: يبدو انه شاب خفيف الظل.... بسيط... مفعم بالحياة... وأخذ في استكمال قراءة المذكرة».

فمنـذ سـنتين أعجبت بفتاة جميلـة جدًا عينيها كانت سـمراء ما أجملهـا مـن عيون... عيـون تجذبك بدون شـعور... لقـد خطفت قلبي.. ولكـن لم أسـتطع البوح بمشـاعري.... فأنا شـخص خجـول جدًا قد يراني البعض جريء لكثرة مداعبتي لأصدقائي وكثرة مشـاجراتي مع المدرسين بالمدرسة وبأسئلتي الجريئة....الغريبة....الغير متوقعة.... فـي الواقع أنا أخجل بسـرعة في الأمور المتعلقـة بالحب والتعبير عن مشاعري وخصوصًا الدفينة

فشـعرت بخوف ولم أسـتطع الوقوف أمامها ومصارحتها.... كنت أخشـى الفشـل والرفض وعدم القبول..وتألمت من تلك المشاعر التي كانت تملئ قلبي

ولكن سرعان ما اختفت تلك المشاعر ولكن الألم كان موجود ومؤثر

وقتها لم أستطيع أن أحدد تلك المشاعر هل كانت حب أم إعجاب؟

فـكل عـام يمـر تتغير خبرتـي للأفضـل وأسـتطيع الحكم على الأشياء بشكل أكثر تفهم وحكمه وقررت (القرارات سهلة ولكن الاستمرار على ذلك القرار هو الصعب)

قررت ألا أعلق مشاعري بأحد فقط أريد أن أتعرف إلى فتاة.. فقد رأيت قرنائي يجلسون بين الحصص في المدرسة مع بعضهم ويتقابلون بعد المدرسـة ويبدو على أعينهم مشـاعر وأحاسـيس جميلة....البعض

كان يأتي بالورود والدمى.... رأيت الكثير في أعينهم.... كانوا أصدقائي يتحدثون عن الحب وعن مدى تعلقه بتلك الفتاة وفجأة يسافر بخياله فيصمت..... الفضول يكاد يقتلني.... أريد أن أجرب تلك المشاعر أنا أيضًا

فشاءت الظروف في التعرف إلى الفتاة التي ذكرتها في البداية ذات العيون الجميلة المختلفة الغريبة..... بدأت قصة كأي قصة.... الحديث لساعات طويلة في الهاتف

عن نفسي... الألوان التي أحبها...أحلامي.... الأغاني التي أحبها والأماكن التي زرتها (فقد زرت الكثير من الأماكن في سن صغير فأنا أعشق السفر) تحدثنا كثيرًا.....

هي الأخرى حدثتني تكرارًا ومرارًا أني أول شاب تتحدث إليه وهذه أول مرة تخوض تلك التجربة..... (لم أصدقها أبدًا فقد نبهني صديق غالي بأن تلك الفتاة لعبت بالكثير من قبلك وبمشاعرهم وبقلوبهم.... هي مثل الحرباية تتغير مع كل شخص وبكل لون وبكل هيئة.... فقد قال لي ذلك الكلام عنها دون علمه بأني أحدثها أصلا)

وبدأت هذه التجربة وعقلي هو المسيطر على قلبي.... لا مجال للقلب الآن فقد نحيته جانبًا

فظللت ساعات طويلة كل يوم استلقي على سريري أرسم جميع الاحتمالات والأحاديث التي قد تدور بيني وبينها قبل أن تحدث وقد كان فأي احتمال وضعته كان يحدث ويتم تصويره كما تخيلته وكأنها لعبة الشطرنج

ومع مرور الأيام بدأت تلك الفتاة في الاعتراف بحبها تجاهي (أنا لا أصدقها.... كم أنا حزين لأني اسمع ذلك الكلام من تلك الفتاة التي لم أتمناها... نعم هي جميلة هي فاتنة ولكن ليست بحلمي) فرغبت في استكمال علاقتي معها فقط لرغبة وجود فتاة في حياتي

أيًا كانت صفتها وسوف أحاول أن اكذب عليها وأبادلها مشاعر الحب الكاذبة...

هي تقوم بالكذب فلماذا لا أقوم بالكذب في المقابل؟ ونرى من سيفوز في النهاية (إذا كانت للسنوات أسامي فسوف أطلق على عامي هذا عام الكذب) نعم كذبت كثيرًا كل كلمة حب قلتها كانت مصطنعة كل لهفة... كل خوف عليها.... كل نظرة بها حنان... كل وصف في جمالها كان كذبة

ومع كل كذبة أقولها كنت أتألم كثيرًا ليس من أجل الفتاة فأنا اعرفها جيدًا فكانت أفعى ليست أكثر من أفعى فألوانها مختلفة وجميلة كنت أتألم على قلبي... على نفسي فكنت أتمنى أن تكون تلك الكلمات والنظرات والفرصة العظيمة لقول كل شيء بداخلي لفتاة أحلامي..... ولكن الأمنيات ليست الواقع.... والخيال ليس هو الحقيقة

فالحقيقة الملموسة مليئة بالألم والجراح والكذب والكذب والكذب....

ظللت طوال العام الدراسي هكذا في تلك المسرحية الهزلية حتى كرهت نفسي وكرهت تلك الكذبات التي لا تنتهي فأصبحت فاشل.. كاذب..وكاره للدراسة حتى أني كدت أرسب في هذا العام.

كانت أحاسيس مفجعة فقد رغبت في إنهاء تلك المهزلة حتى حدث هذا الموقف.

فقبل انتهاء العام الدراسي بأيام قليلة جاء أحد الأصدقاء ليس بالمقربين ولكن تربطنا مواقف جميلة فقال بدون مقدمات «أنا أحب تلك الفتاة واعلم انك أنهيت علاقتك بها».

فابتسمت وقلت له من قال لك ذلك قال: «هي أخبرتني بذلك» فقلت له يا صديقي احترس إنها مجرد وهم فلا تندفع فتقع في فخاخها

المعسولة بالنظرات والكلمات الساحرة.... احترس يا صديقي فأخشى عليك منها فأنا أرى في عينيك لهفة مشتاق مخلص.... فلم يقتنع بكلامي فتركته يخوض تجربته وحياته

فقد يكون العلاج من بعض الأمراض يحتاج إلى إحداث جراح ونزيف الدماء..... الكثير من الجراح والكثير من الألم حتى تتعافي من مرضك فتركته.

انتهت صفحة وبدأت صفحة جديدة ولم ألتفت للماضي الكاذب فقد سئمت الكذب وقصص السراب.

وقررت أن أبد من جديد (بدون كذب مهما كانت الظروف لن أقل إلا الحقيقة مهما كانت مؤلمة..... عنيفة..... عاصفة.... سأقولها دائمًا ودومًا... الحقيقة فقط)

انتهت أيام الامتحانات وبدأت الأجازة فعملت بجهد كل يوم مقبل على حياة جديدة مستعد لخوض السنة الدراسية الأخيرة التي ستحدد مصيري أكون أو لا أكون.

هذا أمس انتهى والآن نحن اليوم.... سأكتفي من هذا القدر من الكتابة

أرغب في النوم والراحة

وللحديث بقية ....

تنهد بطل بئر الظلام تنهيدة طويلة وقال:

يا لها من مذكرات تبدو مشوقة

يكفي أنها أخرجتني قليلاً من الإحساس بالعذاب المستمر... وتأنيب الذات الذي لا ينتهي كالهواء.... شعور مخيف كليل مظلم غائم توارت النجوم فيه عن الأنظار في عرض صحراء قاحلة.

وظهر الإرهاق على عينيه فبدأت ملامح البئر تختفي شيء فشيء

والأشواك تتلاشى في الظلام حتى دخل عالم الأحلام من جديد.

ها هو حلم جديد بعد ليلة مؤلمة أخرى في ليلة واحدة تمر وكأنها حقبة زمنية مغبرة حزينة لا تكاد تنتهي أبدًا.

ما أجمل هذه الرائحة.... إنها رائحة المطر.... نعم فقلبي متعلق بتلك الرائحة... يا لها من رائحة تعيد لي أجمل الذكريات وأروعها...

وصوت قطرات المطر يملئ الأرجاء.... في كل مكان

وقفت مسرعًا إلى نافذتي أستنشق أجمل هواء مغمضًا عيني وراحة يدي ممدودة تداعب قطرات المطر..... ظللت مغمض عيني لدقيقة وعندما فتحتها وجدتها تقف أسفل نافذتي وقلبي ممتلئ بالفرحة لرؤية حبيبتي.... والغيرة غمرت عيني من تلك القطرات التي تلامس شعرها ووجنتيها....

فقد جاءت لزيارتي.... وبيديها باقة أزهار وكأنها جمعت بها ألوان الدنيا.... فرحة الدنيا..... فذهبت مسرعًا إليها لاحميها من تلك الأمطار بقلبي وحبي... فقد خشيت أن تعجب بذلك المطر الرائع.... فغيرتي عليها كانت أشبه بالجنون المطلق كغيرة ملك على عرشه.... نعم هي العقل والجنون.... هي الربيع.... هي إشراقه كل شيء جميل .... هي قصيدة وسيمفونية كل الأزمان والأوطان.... فكل أبيات الشعر كتبت لأجلها....

فأمسكت يديها.... وبدأنا نسير في شوارع المدينة... فالجميع يخاف من البرد والمطر.... إلا أنا وقلبي فقد عشقنا ذلك المطر..... ومشينا كثيرًا بخطوات مسرعة تارة ومتباطئة تارة ونركض تارة ونتوقف نرشف بعضنا بالماء تارة أخرى.... وفجأة جاءت رياح عاتية.... كانت رياح الكذب... الوهم.... الجراح بقوة عاتية... فكادت أن تقتلع قلوبنا من شدتها.... فتشبثت بيديها... بقوة.... ولكنها بدأت تذوب من بين يدي كذوبان الثلج في الصيف.

فاستيقظ في وسط الظلام باكيًا.... مرتجفًا.... خائفًا عليها... وأين ذهبت واختفت؟؟

وبدأ ينبش في كل أرجاء البئر (فظن إنها كانت معه) وسرعان ما أكتشف مرة أخرى انه كان حلم

نعم كان حلم.... فعقله الأزلي لا يستطيع نسيانها... يصورها له مرارًا وتكرارًا

فأصبح بين حيرة وخوف.... خوف من النوم والدخول في عالم الأحلام... لان نهاية أحلامه تنتهي بفرااااغ.... ندم

وبين خوفه من الاستيقاظ في واقع مليء بالظلام.... والأوراق الحزينة

نعم كان حلم وانتهى واستيقظنا ورجعنا إلى الواقع...

ولكن مع الأسف الشديد هذا الواقع ليس منه فرار ولا تغيير.... فستصبح هكذا بين نوم مليء بأحلام غير مكتملة.... كقصر جميل تصدعت جدرانه من هزات الزمن

وبين استيقاظ.... كربان سفينة فقد وجهته... فقد النجوم... فقد الأمل

فليس لدي ما أفعله إلا أن أطالع تلك الأوراق...فهي صديق هادئ وعاصف..... رقيق ومتهور.....حكيم تتعلم منه.... ومجنون تخاف نوباته..... وحزين..... أوراق تتكلم وتتألم بدون صوت...

فعاودت قراءة مذكرات الأمس..... فأنا متشوق لاستكمالها....

اليوم الأحد ٢٠٠٣/٩/٢١

«كان يومي رائعًا منذ الصباح... استيقظت على صوت العصافير... الكثير من العصافير المجتمعة على شجرة عتيقة تمر من أمام شرفتي.... كانت أصواتهم خياليه كمقطوعة موسيقية...أو كصوت فيروز..... أنا اعشق فيروز في صوتها رقة ونعومة وتجعلك سعيد (من الجميل أن تستيقظ على شيء ايجابي) فبدأت بتحضير نفسي للنزول إلى مدرستي وكالعادة.... تناولت مشروب ساخن في شرفتي وأبدأ في إلقاء التحية على المارين في الشارع.... فهم أصدقاء وجيران.... هناك شيء غريب حدث أيضا

لقد رأيت جارتي.... وكأني أراها لأول مرة.... لقد كبرت ونضجت أصبحت ناضجة لم تعد تلك الطفلة الصغيرة.... لم أهتم كثيرًا لأجلها في السابق ولكنها جميلة جدًا.... فلم يتجاوز عقلي الخمس ثوان في التفكير فيها.... ثم انتهيت من مشروبي

وكالعادة... أختي الكبيرة تبدأ في الصراخ (اطفي النور - اقفل البلكونة - امتى تخلص المدرسة عشان تريحني من القلق ده) كانت أمي الثانية فلا أتصور هذا العالم بدونها يا رب أحفظها من أي شر.

ومشيت إلى المدرسة بخطى ثابتة كلها ثقة.... ما أجمل رائحة الصباح.. أحب تلك الرائحة... الجميع مستيقظ ذاهب إلى عمله أو مدرسته أو بالبلدي وراه مشوار

وبدون خوض تفاصيل متكررة تحدث كل يوم دراسي سأتحدث عن الأشياء المهمة والتي تروقني..

كلام من ذهب قاله الأستاذ إيهاب (هو شخص على خلق ونحسبه على خير ولا نزكى احد على الله) قال " متفرحش بمدرس يسيب حصته ويقضيها هزار وضحك وانتم طبعا فرحانين... أو مدرس يخليك تغش في الامتحان... أو مدرس بيسرب أسئلة الامتحان عشان تاخد

عنـده درس.... بكـرة هتعرفوا من كان هدفـه مصلحته ومين كان خايف عليكـم وعايزكم تبقوا ناجحين " كنت مركز في كلامه وحفظتـه واقتنعت بيه لأنه منطقي جدًا.... النجاح يتطلب اجتهاد وتعب وليس غش وهزار وتضييع وقت.

- نقطة جديدة كمان أريد أن اكتبها قبل النسيان

لقـد غيـرت مكانـي فـي الفصـل... رجعت إلـى الخلف فـي أخر ديسـك... أريـد التركـز اكتـر وأريد الابتعـاد عن (الهـزار الكثير ومضايقـة المدرسـين)... فكمـا ذكـرت سـابقًا فأنا أعيـش بداية جديدة لا كذب ولا استهتار كأني مولود من جديد يكتب صفحات كتابه فأحببت أن تكون صفحات جميلة ليس بها شوائب....

انتهى اليوم الدراسي بسلام وكعادتي على الساعة الرابعة عصرًا أذهب إلى الملعب فلعب الكرة شيء ساحر يخرجك من أي مشاكل وهمـوم وخصوصًـا إذا لعبـت مع أصدقـاء الطفولة... الكـرة تجعلني سعيد وانتهى اليوم بهدوء

تصبحوا على خير

وللحديث بقية غدًا

فبدأ فارس الظلام بالتوقف قليلا عن القراءة وكأن يومه هو أيضا انتهـى ولكن في واقع الأمر أن ما احتاجه لقراءة يوم في المذكرات لا يتعدى خمسة دقائق وبدأ يتحدث مع نفسه.... كالعادة

«الحيـاة مـا زالت بها أشـخاص جيديـن.... لديهم آمـال عريضة.... أحلام غير مشروطة...» وعاد سريعا لاستكمال.... المذكرات

اليوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٣/٩/٢٣

«أمس مر بدون جديد يذكر.. نفس الروتين اليومي..حتى اليوم ولكن الاختلاف انه الثلاثاء يا سادة... هذا اليوم مختلف دائما معي فدائما يحدث شيء مختلف سواء شيء جميل أو حزين.... نعم كل ثلاثاء يحدث شيء غير متوقع.... وليس من الشرط أن تكون أحداث خاصة بي ولكن قد تكون أحداث محيطة..... لقد تشاجرت مع زميلتي (ممالك) في الفصل بسبب مقاطعتي الكثيرة للمدرس بالرغم أني كنت أقاطعة في نطاق الشرح ولكني كما ذكرت سابقًا فأسئلتي غريبة.... مختلفة.... غير متوقعة... فظنت أني أريد (الاستظراف) وانتهت المشادة الكلامية العنيفة

(ممالك) فتاة متعجرفة.... قاسية.... متكبرة... مغرورة.... تعامل الجميع بقسوة وبعنف... كنت أتجنبها وما زلت.... ولكني حتى في أقسى الظروف لم أتعود أن أتفوه بكلام جارح هذا طبعي «

الآن الساعة ١١ مساء انه موعد حفل أم كلثوم

أتمنى أن تكون أغنية «فات المعاد» بحبها جدا.... ألحانها وكلماتها

وبالفعل كانت أغنية فات المعاد (انا سعيد)

أحلام سعيدة..

اليوم الجمعة الموافق ٢٠٠٣/٩/٢٦ الساعة الثانية صباحًا

لم تحدث أمور جديدة في الأيام الماضية.... نفس الروتين... تقريبًا أيام متكررة

غير اختبار قام به أمس الأستاذ / محمد مدرس علم النفس

كان الاختبار عبارة عن ورقة بها الكثير من الأسئلة الاختيارية ومن خلالها سيحدد نسبة كذبك من صدقك

نعم الجميع لديه نسبة من الكذب..... فقد تجرأت وقبلت ذلك الاختبار وبعض الأصدقاء قام به أيضًا.... فبعد إجابتي عن كل الأسئلة الموجودة بورقة الاختبار

أخذ ورقة بيضاء وبدأ يدون بعض الملاحظات وقال «مستعد تعرف مدى كذبك» لقد شعرت بالإحراج وقلت له مبتسمًا (خلي الطابق مستور).... فقال سوف أكتب نتيجتك في ورقة ولن يعلم بها أحد غيرك.

فكانت النتيجة مفاجأة..... لقد كانت ١/٨.... بمعنى جزء واحد من ثماني أجزاء وهذه اقل نسبة وهي نسبة تكاد تشبه الصدق الكامل..... شعرت بسعادة من هذا الاختبار فأنا ملتزم بقراري في عدم الكذب.....

❖ ❖ ❖

الخميس الموافق ٢٠٠٣/١٠/٤ الساعة السابعة مساء

الأسبوع الماضي مر بهدوء نسبي وبلا جديد تقريبا

ولكن أنا امسك القلم الآن لأدون تلك المشاعر والحالة التي أمر بها فأنا لدي

بعض المشاعر والأحاسيس الغريبة والمتضاربة وبعض التوتر ارغب في إفراغه على تلك الورقة.... حتى أكون في حالة أفضل..... فأوراقي مثل صديق مخلص كاتم للأسرار.... فأوراقي كالمحيط العميق مهما ألقيت فيه من كلمات ستختفي في قلبه وفي أعماقه.

مشاعري طوال الأسبوع متقلبة ما بين ثقة في النفس وخوف من الفشل وخوف من عدم تحقيق هدفي.... بدأ بعض الخوف يتسلل إلى قلبي وبعد الشكوك تترسخ لدى وسؤال دائم اطرحه على نفسي وهذا السؤال هو... هل ستنجح في النهاية وتحقق حلمك؟؟ أم سينتهي

بك المطاف بفشل ذريع

سوف اذهب غدًا لاستشير صديق قديم يكبرني بعدة أعوام عن هذه المشاعر قد يكون لديه جواب شافي لما في صدري

سوف اذهب إليه بعد صلاة الجمعة مباشرة بإذن اللّٰه تعالى

انتهى.....

❖ ❖ ❖

اليوم الجمعة الموافق ٢٠٠٣/١٠/٥ الساعة العاشرة مساءً

بالفعل ذهبت لصديقي وسألته واستشرته وإعطاني الإجابة القاطعة

فقال لي مبتسمًا «خوفك هذا دليل على نجاحك وانك على الطريق السليم» لأنك إذا لم تكن خائف من الفشل فسوف تتكاسل وتتهاون وأكمل حديثة قائلاً «اجعل هذا الخوف في صالحك واعمل على الاجتهاد أكثر وأكثر» ثم دعا لي بالنجاح والتوفيق وانصرفت

لقد أراح قلبي بكلماته البسيطة واني أسير على الطريق السليم...

انتهى.....

هنا توقف فارسي.... فارس الظلام عن القراءة معقب على تلك الكلمات الأخيرة وقال:

نعم يا صديقي الخوف يجعلك أكثر احترازًا.... فلقد وصلت إلى هذا الظلام لأني انطلقت مسرعًا بمشاعري بدون خوف أو قيود.... حب مطلق غير مشروط لا تقيده قيود..... ولا قوانين.... ولا عهود

فمن يحب أكثر هو من تكون مشاعره أعمق... مشاعره تكون أقوى من أساسات الأرض نفسها.... وحتى جرحه يكون كثورة بركان لا تختفي أثاره حتى تفنى العوالم كلها... قلبي يؤلمني كلما

تذكرت كل هذا الوفاء وكل هذا الحب تجاه تلك الفتاة.....

آآآآآآآه على هذه اللحظات التي تكتشف فيها كم كنت ساذج...

ومن جديد عاود استكمال قراءة المذكرات.... فهي مملة في بعض الأحيان لكن في الغالب جميلة.

فقد تعجل في قراءة المذكرات وقام بتمرير أكثر من ورقة دفعة واحدة لمعرفة الأحداث سريعًا..... فهو متشوق لمعرفة ماذا حل بذلك الشاب وبدأ في القراءة:

ممالك... ممالك قالت بحبك ثلاث مرات ولكن الثالثة كانت الأجمل

نعم هي اسمها ممالك.... واسمها يدل على شخصيتها... فهي العالم... هي الأجمل..... ممالك في ضحكتها براءة كل الأطفال وفي صوتها كل الألحان وفي عيونها بحار ليست لها نهاية..لا أجد في قاموس كلماتي ما يعبر عن وصفها.

هنا توقف فارس الظلام وقال لنفسه: «أليست هذه ممالك التي كانت على خلاف دائم مع ذلك الفتى وفي شجار لا ينقطع»

وبدأ يقلب في صفحات المذكرات عائدًا للخلف يريد أن يفهم ما الأحداث التي فاتته وكيف تطورت هذه العلاقة من علاقة كلها توتر وغضب... إلى علاقة حب قوى

اليوم الاثنين:

المدرس كان غائب وأنا جالس لا أفعل شيء غير الرسم على بعض الأوراق الغير هامة بالقلم الحبر.... أشعر بالملل.... وكانت ممالك (تلك الفتاة المتعجرفة) تجلس هي أيضًا وترسم (هي كانت الأفضل في الرسم....كانت موهوبة بالفطرة... فقد قامت برسم

مدرسة اللغة الانجليزية وهي جالسة بدون علمها ثم أعطتها الصورة فانبهرت المدرسة بتلك الصورة وكانت سعيدة) فطرأ على عقلي سؤال بدون ترتيب ولا تحضير.... فسألت ممالك بدون تردد ولا تفكير في السؤال... سؤال جاء بتلقائية شديدة فقلت لها بدون مقدمات (هو انتى بتكرهيني ليه ؟!... ليه بتتعاملي بالقسوة دى)

ردت وفي عينيها نظرة أول مرة أراها... كانت نظرة بها طيبه وسلام وهدوء لم أراه من قبل.

قالت بابتسامه: هو أنا هاكرهك ليه ؟ أنا بتعامل على طبيعتي.... وضحكت بصوت رقيق كالأطفال.

قلت لها: يعنى خلاص مفيش خناق تانى وهنعمل هدنه ؟

قالت: طبعا

وقبل انتهاء اليوم الدراسي.... ودعتها وسلمت وذهبت إلى المنزل

كنت سعيد.. والآن أثناء كتابتي أشعر بنفس السعادة دون أن اعرف لماذا

الساعة الآن ١١ مساءً موعد حفلة أم كلثوم

يا ترى أغنية ايه اللى هتشتغل ؟؟

اشتغلت أغنية (أمل حياتي).... أغنية جميلة وسعيدة

يلا تصبحوا على خير.

اليوم الثلاثاء:

استيقظت من النوم نشيط على غير العادة.... لدي طاقة قوية.

أول ما وصلت المدرسة ودخلت الفصل وسلمت على أصحابي كالعادة.

وجلست في أخر ديسك... ممالك أيضًا تجلس في أخر ديسك لكن ليست في جهتي كان يفصلني عنها زميلتها أميرة وجدتها اليوم قامت باستبدال مكانها مع صديقتها وأصبحت تجلس في اتجاهي.

شعرت أنها قامت بتبديل مكانها لأجلي ولأجل أن تكون قريبة مني.. بابتسامة عريضة ألقيت التحية

وهى أيضًا كانت مبتسمة.... ابتسامة ممالك أًصبحت جميلة جدًا... وبدأنا نتحدث بكلام خفيف... أخبارك إيه.. وكلام بسيط حتى بدأت الحصة الأولى

وانتهت باقي الحصص... حتى وقت (الفسحة)

سألتها : إيه مش هتخرجى شوية بره الفصل تغيري جو

قالت: لا مليش مزاج أنا هفضل هنا

قلت لها خلاص وأنا هقعد أرخم عليكى... فضحكت ومكثنا نتحدث

معظم حديثنا لا أتذكره

لكن ما أتذكره جيدًا هو إحساسي براحة شديدة وانأ أتحدث معها

وكأن لم يكن ما بيننا مشاكل بالماضي

هي أيضًا تشعر براحة معي والدليل على ذلك كثرة كلامها معي

(انتهت الفسحة بسرعة غير معهودة)

ومر باقي اليوم بسرعة.... بسرعة كبيرة

بعد عودتي من المدرسة شعرت بأن ما تبقي من اليوم أطول من المعتاد

أتمنى أن يمر الوقت بسرعة وارجع المدرسة

أصبحت افرح بالمدرسة جدًا....

الآن بسمع راديو سوا.... أغنية كل القصائد مروان خوري

تصبحوا على خير

فتوقف سأكن البئر قليلاً عن القراءة ومسك بحجر صغير وبدأ يكتب كلمات على جدران البئر

.... ما أجمل البدايات... أنا اعرف ذلك الشعور الرائع... شعور لا يوازيه امتلاكك العالم بحدوده... في البدايات فرحة وسعادة... في البدايات انبهار... في البدايات جمال كالشفق وقت الغروب... كنجوم ليلة صافية في عرض الصحراء البعيدة.... ملايين ملايين النجمات.... ما أجمل البدايات.... مجرد تذكر لهفة البدايات يشعرني بشيء من التحسن والسعادة.... أعرف إنها سعادة وقتيه.... وستمر سريعًا

وعاد لاستكمال القراءة.

❖ ❖ ❖

اليوم الخميس

كل طلبة ومدرسين المدرسة كانوا يشعرون بالفرحة كالعادة

بل كل الناس كانت سعيدة بيوم الخميس لأنه أخر الأسبوع

إلا أنا... كنت حزين جدا لإني يوم الجمعة لن أرى ممالك

من بعد ما بدأت أتكلم معها كثير وأصبح ما بينا أولفه أصبحت أتمنى أراها دائمًا

هل هذا إعجاب...

أنا لأول مرة لا أشعر بالخوف من الخطوة القادمة في العلاقة... زى ما كتبت في الصفحات الماضية أنى على العهد في عدم الكذب.. حتى في علاقاتي بالناس...

أنا مطمئن جدًا معها... وسوف أسير وراء قلبي الصادق للنهاية

وأرى إلى أين سيوصلني قلبي...ولكن في هذه المرة أشعر بثقة شديدة..فكرة الخسارة أو الخوف من المستقبل أصبحت منعدمة

ممالك... اكتشفت إنها إنسانه رقيقة لكن طباعها كانت شديدة مع بعض الناس

(الصراحة طلع عندها حق... لما ركزت شوية طلعت هي اللي صح)

تصبحوا على خير بقى

اليوم الجمعة...

اليوم يمر ببطء شديد

الساعة تمر كأنها أسبوع

لكن مرت... طول اليوم كنت أفكر في ممالك... إعجابي بها يزيد يوم عن يوم

علاقتي بها ليست علاقة حب.... فقط إعجاب... لكن الإعجاب بيزيد مع مرور الوقت... (يا ترى هي أيضًا معجبة بي ؟)

سوف أسألها غدًا عن هذا الموضوع بشكل سؤال من بعيد حتى لا أسبب لها ولنفسي إحراج.. سأحاول أن أفكر في صيغة السؤال

انا متشوق لمعرفه الإجابة ولا أشعر بالقلق مهما كانت الإجابة

هى حتى الآن بمنزلة الصديقة (اللى برتاح في كلامي معها ومفيش رابط ما بينا غير الاحترام المتبادل والمعاملة الحسنة)

❖ ❖ ❖

الساعة ١٠ مساء

سوف أحاول النوم وقبلها سوف أفكر في طريقة سؤالي

تصبحوا على خير

❖ ❖ ❖

اليوم السبت

الساعة ٦ صباحا

مستيقظ نشيط جدًا جدًا وسعيد جدًا جدًا... وهذا بسبب أني ذاهب إلى المدرسة وسوف أرى ممالك وسوف أسألها عن إعجابها بي من عدمه

عند عودتي سوف أكمل الكتابة

سنعود بعد قليل

❖ ❖ ❖

عدنا

الساعة ٢.٣٠ مساء

اليوم كان جميل... أجمل مما كنت أتوقع

بعد كلام خفيف كيف حالك وكيف مر يوم الجمعة ومدى تركيزك في المذاكرة

سألتها قائلاً:

أنا بشعر براحة كبيرة عند حديثي معكِ... ومهما طال حديثي معكِ لا أشعر بضيق أو ملل

وأنتِ هل تبادليني نفس الشعور؟

قالت: وعينيها كانت مليئة فرحه ووجهها كان يكسوه الفرحه

وأنا أيضًا أشعر براحة شديدة عندما أتحدث معك

وقتها شعرت بفرحه شديدة

وحتى وقتي هذا ما زلت أشعر بسعادة

من الجميل والنادر انك تجد شخصية زى ممالك

وفي الغالب لن تجد هي... ليست لها مثيل... مختلفة بالكلية

سوف أصفها مرة أخرى:

ممالك... يكفي الاسم وصفا

ممالـك.... بهـا عذوبة أجمل من نهري دجلة والفرات... بل أجمل من نهرنا هذا

ممالك... شامخة كالجبال.. بل هي أعلى من كتل السحاب

❖ ❖ ❖

اليوم الأحد... الساعة العاشرة مساءًا

لقد فاجأتني ممالك اليوم بشيء مميز جدًا

فمنـذ أيـام أعطيتهـا (أجندة فارغـة) وطلبت منها أن ترسـم بعض الرسومات فهي متميزة في الرسم وطلبت منها كتابة بعض الأغنيات والكلمات

لقـد أبدعـت فـي الرسـم... شـخصيات كرتونيـة... زهور...قلوب جميلـة... والكثير من الصور الرائعة التي لا تعبر إلا عن الذوق العالي .... وكتـب الكثيـر من الأغاني (وكأنها رسـالة) فهـي انتقت بعض الأغانـي المميـزة... حيـران... حـاول تفتكرنـي... أنا بعشـقك... وقد الحروف..وأخر صفحة كتبت أغنية (آه لو تعرف يا حبيبي وأنت معايا بحس بأيه لنجاة) كلها أغاني ليها مدلول واحد لكن ليست بالدليل القاطع على ما يدور بعقلي (هل تحبني فعلاً؟)

هذه (الأجندة) سوف احتفظ بها.... فهي أجمل تذكار
أحلام سعيدة

❖ ❖ ❖

اليوم الثلاثاء...

أنا أقوم بتلخيص مادة مبادئ قانون

وطلبت من ممالك أن ترسم لي رسمه خاصة جدًا للذكرى على هذا التلخيص وان تكتب كلمة مختلفة تكون خالدة حتى أتذكرها بها دائمًا

تركت لها المذكرة يوم كامل وكل الذي كان يدور في خاطري

ماذا ستكتب؟

وفي نهاية اليوم قالت إنها سوف تأخذ ذلك التلخيص وتأتى به غدا

فقلت لها (بس متتأخريش عن بكرة انا هستنى)

وكل ما يجوب في خاطري الآن مجرد تساؤلات

يا ترى ماذا سوف ترسم؟

يا ترى ماذا ستكتب ؟

لا أستطيع التوقع

بيني وبين نفسي أتمنى أن تعبر لي عن مشاعرها

رباطنا أصبح أكثر من إعجاب

تقريبا طول اليوم بنتكلم ونتحدث في كل شيء حتى أصدقائها البنات بدأت تتكلم قليل جدا معهم.... فأعطتني الكثير من الوقت والخصوصية فأصبحت لا تتكلم مع أحد غيري تقريبًا

حتى أسلوبها تغير ١٨٠ درجة... أصبحت تعامل كل الناس بأسلوب

غير معهود

أصبحت تتعامل برفق وهدوء وسلام نفسي

كنسمة هواء لطيفة في ليلة حارة

الساعة الآن ١١

طبعا حفلة ام كلثوم....

أغنية فكروني.... روعة

سنعووووود بعد قليل

❖ ❖ ❖

عودنا.... الساعة ٥.٣٠ صباحا

استيقظت باكرا عن العادة

الفضول أقوى من النوم... لم أستطع الانتظار فاستيقظت باكرًا

منتظر لحظة لقاء ممالك ومعرفة ماذا كتبت وماذا رسمت؟

متوتر قليلا.. وسعيد أيضًا

سأذهب الآن إلى المدرسة

سلام مؤقت..

❖ ❖ ❖

عدنا من جديد...

الساعة ٤ عصرا ويا لها من فرحه

بعد ذهابي إلى المدرسة

لاكتشاف ماذا كتب ورسمت ممالك

وكانت المفاجأة

فتحت التلخيص بسرعة وخطفت نظرة سريعة على ما رسمته

وأغلقتها سـريعا... لان احد أصدقائي كان (حاشر نفسه ومتطفل جـدا) فلـم ارغب في أن يرى أحد ماذا كتبـت ممالك وانتظرت حتى ساد الهدوء

وبروية قمت بفتح الملخص.... إذا وجدت رسمه خيالية

وهى عبارة عن عصفور وعصفورة وغصن يمسكاه بمنقارهما

ألوانهم كانت رائعة

وكتبت أجمل عبارة وأجمل إهداء مر عليا حتى الآن ولن يتكرر

كتبت:

إهداء إلى اغلي واعز الناس.. ورسمت قلب في نهاية الجملة

فسألتها وقلت:(فعلا أنا اعز وأغلى الناس)

قالت: أنت عندك شك في كده..أكيد

كلماتها كانت بمثابة سحر

إحساس لا يوصف... لم تبتكر حروف وكلمات لتعبر عنه

كانت كلماتها مثل بوابة تعبر من خلالها إلى كل زمان ومكان

وظللت طوال اليوم سعيد

حقا يوم مميز

ولكن كان شـغلي الشـاغل هو سـرعة مرور الأيـام... فمعها يمر اليوم كومضه

ارغب الآن في نوم عميق.. كمسافر أرهقته الطرقات... كمسافر قادم من.. ممالك بعيدة

أراكم قريبا

اليوم الخميس الساعة ٦.١٧ صباحا

طلبت منى ممالك البوم موعود لعبد الحليم

لن أنسى طلبها.... فهذا أول طلب لها

لكن الألبوم به الكثير من الأتربة

فمضى على آخر مرة على سماعه عام ونصف وكنت أضعه في مكان صعب الوصول إليه

حاولت تنظيفه ولكنى فشلت

سنعود بعد قليل

❖ ❖ ❖

عودنا

الساعة الآن ٥ مساء

بالفعل أعطيت ممالك الألبوم

فشكرتني... وقالت: أريد سلسلة مفاتيحك... بدون تردد أعطيتها تلك المفاتيح وكان بها خنجر صغير...كان هدية من أخي الصغير

ولم أتركة من يدي أبدا... فقد تعلقت به كثيرا لا اعرف لماذا؟!

وعلى الفور.. أعطيتها تلك السلسلة وبها ذلك الخنجر

وقالت: هرجعهالك يوم السبت

لم أسألها... أنا أثق بها... لن تتهاون في الحفاظ على تلك السلسلة وما بها من مفاتيح وخنجري الصغير

سوف اذهب الآن أجالس احد الأصدقاء

ولنا عودة

❖ ❖ ❖

السبت الساعة ٩.٣٣ مساء

كان يوم رائع كالعادة

فأي يوم توجد فيه ممالك فهو يوم رائع.... هي تجعل المألوف... مبهر ورائع

لقد وفت بوعدها.... أعطتني السلسلة لا ينقصها شيء بل زادت عليها بقوقعة رقيقة مثلها... فقد جعلت تلك السلسة أكثر روعة

فمسكت القوقعة وقلت لها :هدية أكثر من رائعة

وأعطتني أيضا البوم موعود... فقد فاجأتني.... لقد قامت بتنظيفه وكأنه جديد...

وكانت مبتسمة

والآن أنا مستلقي على سريري ممسك بتلك القوقعة الصغيرة الجميلة

بالرغم من سعادتي

إلا هناك حزن انتابني وذلك بسبب أن هذا أخر أسبوع في الترم...

سوف اطلب رقم هاتفها غدا

حتى استطيع الاطمئنان عليها

ومن الغريب إنها قامت من قبلي بطلب رقم هاتفي في اليوم التالي

فتعجبت لتفكيرنا المشترك

واتفقنا ان نطمئن على بعضنا طوال فترة اجازة نصف العام

❖ ❖ ❖

اليوم الخميس

لقد كان يوم حافل.. وانتهى بتوديع الأصدقاء

لقد مكثت مع ممالك قرابة النصف ساعة بعد انتهاء اليوم الدراسي

وكان احدنا لا يرغب في ترك الآخر

وأخبرتني أنها سوف تذهب إلى محافظة البحيرة مع جدها

وللأسف لا يوجد لديه هاتف هناك

شعرت بالحزن والأسى

وودعتها وذهبت

الساعة الآن الواحدة صباحًا....

سوف اذهب إلى النوم الآن... فلدي الكثير من العمل الشاق غدًا

(أنا أعمل في الإجازة حتى أقوم بالإنفاق على نفسي.... ما أجمل أن تعتمد على ذاتك)

❖ ❖ ❖

اليوم الثلاثاء الساعة ١,٣٠ صباحًا

لم اكتب الأيام الماضية بسبب تكرار الأحداث

أيام طويلة مملة لا يوجد بها أي أحداث جديدة.... فقط اذهب إلى العمل وأعود إلى المنزل وأنام وأعاود الكره

اشتاق إلى ممالك.... هل تفكر بى الآن ؟ هل مشاعرها حقيقية تجاهي

تساؤلات كثيرة ولا يوجد عندي أي إجابة.... كل ما امتلكه هو ذلك التذكار منها (تلك القوقعة) أتمنى أن تنتهي تلك الاجازة بسرعة.... افتقدها جدا... لم أكن أتوقع أن أتعلق بها هكذا.... هل هذا حب..؟؟؟ قلبي وعقلي متحدان في القرار ولأول مرة

والإجابة نعم.... مع غيابها حل الخريف على أوديتي وسهولي

كل يوم يمر اشعر بفرحه القرب منها.... ولكن ما زال يتبقى

أكثر من عشرة أيام على رؤيتها... يا لها من أيام عجاف...

أحلام سعيدة

❖ ❖ ❖

اليوم (لن اذكر التوقيت ولا اليوم)

انه يوم غير كل الأيام.... انتظرته كثيرا وكثيرا

لقد تلقيت اتصال من ممالك.... كل كلمة أتذكرها فقد اخترقت عقلي الباطن ورست في ميناء قلبي

لن أدون غير تلك السطور.... فتلك المكالمة لا تحتاج إلى تذكير أو مذكرات

فكيف امحوها من أوراق ذاكرتي.... فحبها في قلبي كالنقش على الحجر

قالت: أنا رجعت علشانك....

لم أبالي للكلمة لأني كنت أظن أنى أخطأت الفهم

فكررتها: أنا رجت علشانك

قلت لها: رجعتى عشانى أنا ؟ بجد

قالت: نعم

قلبي ينبض بشده لتلك الكلمة.... شعور غريب.... كمقطوعة موسيقية تخطف الأذهان... كجمال قوس قزح..

الآن ابحث عن كلمات تعبر عن فرحتي... فلا أجد كلمات.... حتى أعظم الشعراء عجزوا عن وصف حالتي....

مكالمة.... غير متوقعة.... حلم جميل.... أشرقت لي كل الشموس

الوقت تأخر جدًا .... ولكن مهما تأخر الوقت فلحظة حب حقيقية تساوى سنوات وعصور وقرون

ليله كانت هي الأجمل

تصبحي على خير يا ممالك

❖ ❖ ❖

اليوم الثلاثاء:

منذ وان تكلمت مع ممالك ولدى طاقة لا تتخيلونها.... اعمل بسرعة وقوة غير معهودة.... فحبها كان يعطيني قوة... صلابة... أمل... الكثير من الأمل

تبقى أيام قليلة على الدراسة

متعجل لأرى ممالك جدًا

سنعود بعد كثير

❖ ❖ ❖

عدنا

اليوم السبت... بداية الدراسة

نعم

محتار.... أريد أن اختار أفضل ملابسي وأصفف شعري بأجمل شكل... فأخذت أبدل في ملابسي أكثر من مرة.... حتى تأخرت عن ميعاد دخول المدرسة حتى قالت أختي (أنت لو رايح تتجوز مش هتعمل ده كله) فلم أعقب على كلامها

لأول مرة أجد حيرة في اختيار ملابسي.... نعم سوف أرى ممالك بعد مدة كبيرة

أنوى أن أصارحها بحبي..... ولكن كيف

أراكم لاحقًا

❖ ❖ ❖

الساعة الآن

الساعة الآن لن أقوم بتدوين الساعة في هذه المرة أيضًا لان اليوم غير أي يوم.

ولان هذا الحدث لن يخرج من ذاكرتي.... فهو الحدث الأجمل والأسعد

سأروي ما حدث.

ليست لدي الشجاعة الكافية لقول تلك الكلمة.... نعم أنا تأكدت من حبها عن ما كتبته وما فعلته من أجلي... نعم هي أشياء بسيطة ولكن هذا اهتمام كبير منها وحتى كلمتها إنها عادت لأجلي... نعم هذا دليل قوى على حبها الحقيقي

ظللت طوال اليوم أحدثها وعينيها تكاد أن تنطق... عينيها حدثتني أنها تحبني وتنتظر مني قول هذه الكلمة.

هي مجرد أربع حروف ولكنها صعبة النطق... قد تكون أجمل كلمة في الدنيا وأصعبها في نفس الوقت.... انتظرت حتى وقت (الفسحة) وأصبح الفصل شبه خالي

وناديتها وكاد قلبي يخرج من مكانه... دقات متسارعه... خفقان.. توتر... بالفعل كنت أرتعش ولكني أخفيت ذلك.... من أجمل.. وأصعب اللحظات... اعرف انه الوقت المناسب للبوح بحبي بطريقة صريحة ومباشرة.

بعدما ناديتها... نظرت في عينيها مباشرة... وقلت بصوت يكاد يكون مسموع

«بحبك»

لمعت عينيها من الفرحة... وابتسمت... وبدون تردد قالت " وأنا كمان بحبك"

لـن أنكر ذلك... فقد احمر وجهي وأصابني الخجل.. فرح مع توتر مع أحاسيس جديدة لم أشعر بها من قبل

أحتاج أن اسمعها مرة أخرى.. فعلاً قالت تلك الكلمة ؟؟

فقلت لها : مش سامع

فكررتها وقالت: وأنا كمان بحبك

فوقفت على قدمي... وذهبت مباشرة إلى باب الفصل ونظرت خلفي... فوجدتها تنظر إلي بابتسامة... كانت الأجمل على مر التاريخ

وخرجت ووقفت خارج الفصل ووضعت يدي في جيبي مبتسم ابتسامة عريضة جدًا

وارجع مرة أخرى أنظر عليها. أجدها ما زالت تنظر وتبتسم.... فقالتها مرة أخرة

بلغة الشفايف (بحبك)

هل يوجد من هو أسعد مني

وبدأت اغني وأغني

وجدت نفسي بدأت أتغنى بقصيدة أحببتها كثيرًا :

لا تهتمي في إيقاع الوقت وأسماء السنوات

أنتِ امرأة تبقى امرأة في كل الأوقات

أنتِ امرأة لا أحسبها بالساعات وبالأيام

أنتِ امرأة تسكن جسدي قبل ملاين الأعوام

أنتِ امرأة صنعت من فاكهة الحب ومن ذهب الأحلام

يا سيدتي ليس هنالك شيء يملأ عيني

لا الأضواء، ولا الزينات، ولا أجراس العيد، ولا شجر الميلاد

لا أتذَكّر إلا وجهك أنتِ، لا أتذَكّر إلا صوتك أنتِ

تعالي هاتي يدكي اليمنى كي أتخبّأ فيها
تعالي هاتى يدكي اليسرى كي أستوطن فيها
قولي أي عبارة حب حتى تبتدئ الأعياد
سوف يظل حنيني أقوى مما كان، وأعنف مما كان
أنتِ امرأة لا تتكرر في تاريخ الشعر
وفي ذاكرة الزنبق والريحان
قالت (بحبك)

ممالـك... ممالـك قالت بحبك ثـلاث مرات ولكـن الثالثة كانت الأجمل

نعـم هي اسـمها ممالـك.... واسـمها يدل علـى شـخصيتها... فهي العالم... هي الأجمل..... ممالك في ضحكتها براءة كل الأطفال وفي صوتها كل الألحان وفي عيونها بحار ليست لها نهاية

لا أجد في قاموس كلماتي ما يعبر عن وصفها.

فتوقف فارس الظلام مرة أخرى عن القراءة... وأمسك المذكرات بيديه اليسـرى وبدأ يلوح بسـبابة يديه اليمنى لتلك المذكرات قائلاً: (محدثًا بطلها وكأنه يسمعه)

أنت محظوظ يا فتى.... فقد تخيلت كلماتك وكأني كنت أجلس معكما... لقد سـمعت صوتك وصوتها.... لقد رأيت حركة شـفتيها.. لمعة عينيها... فرحة وجهك ووجهها

حتى أبيات شـعرك البسـيطة حفظتهـا.... نعم كلماتـك صادقة... فقد هزت مشاعري.. ثم قام بوضع تلك المذكرات أرضًا ووقف على قدميه ومشـي خطوات بسـيطة مبتسـم ابتسـامه جميلة (هو كاد أن ينسـى معنى الابتسـام في بئـر الظلام) وبدأ يتحـدث: نعم يا صديقي فقـد تصـادف إنسـان تعجز عـن وصفه فقـد تجد كلمـات تعبر عن

صفـة.. عن جمـال... عن حالة... عـن فرح.. عن غضب... عن اشـتياق... ولكـن لن تجد كلمات تعبر عن وصفك لمن أحببتها... فهل سـتقول لها أنتِ أجمل من الشتاء وثلوجه وأمطاره ؟

أم ستقول لها أنتِ أجمل من الربيع بزهوره وألوانه ؟

أم سـتقول لها أنتِ أجمل من الشـوارع المزينة بأوراق الأشجار في فصل الخريف؟

أم ستقول لها أنتِ أجمل من نسمات الصيف الصباحية؟

أم سـتقول لها أنتِ أجمل من كل الفراشات.. والغابات... والبحار.. وأعالي الشلالات... ؟

أم ستقول لها أنتِ أجمل من هذا الشفق الوردي ؟

أم ستقول لها جمال وجهك بعثر ضوء الشمس في الأجواء ؟

أم سـتقول في عينيك كُتبت دواوين الشـعر... وفي شَعرِك صنوف الكتب.... ومن ضحكتك تروى حكايات ؟

نعـم يـا صديقـي.... ليس هناك كلمـات تعبر عن المشـاعر... فلا تحـاول أن تجـد تلـك الكلمـات.... فبحثت عنهـا من قبلك فـي بحار الكلمـات وفـي كل اللغات لـم أعثر عليها صديقـي... حبكما هو الأجمل والأروع... كشـجر الياسـمين... لونه أبيـض وعطره تجده من ألاف الأميال

فتوقـف عـن الـكلام... ونظر إلى أعلـى البئر فإذا بورقـة تهوى... تتمايـل تتخبط في جنبات البئر.. وقبل سـقوطها ببضعـة أمتار تعلقت ببعض الأشواك التي تحيط جدران البئر

فلم يبالي لتلك الورقة وقال لنفسه (يكفيني ما لدي من الأوراق... المذكـرات.. الكلمـات.... الأحـزان) ولكـن الفضـول كان أقوى منـه... فأخـذ ينظـر إلى تلك الورقة مـن بعيد وبدأ يتسـاءل... من ألقى

بتلك الورقة هنا ؟؟؟ أم جلبتها رياح الزمن إلى بئري؟ هل ما زال بالخارج فيخرجني من هنا؟ ولكن أنا بعيد جدًا صوتي لن يصل ؟ لقد حل الظلام على عمري... ظلام حالك كنقطة سوداء في ليلة مغبرة في أعالي السماء.. وجودي أصبح كالعدم.. مجرد أشلاء.

وأثناء حديثة التعيس هبت بعض النسائم فحركت تلك الورقة من بين الأشواك

وعندما سقطت على الأرض... نظر إليها من بعيد قائلاً " لست متفائل.. فقد سئمت... فكلما أخذت ورقة أجدها معاناة بشكل أو بآخر... حتى تلك المذكرات أشعر أنها ستكون بها الكثير من المعاناة

فجثا على ركبتيه بجوار تلك الورقة ورفعها ببطء ثم أنزلها مسرعًا وقال: أشعر أنها ستزيد من معاناتي... حتى لو زادت من معاناتي فأنا أصبحت خاوي... جسد خاوي... حتى لو كانت ورقة حزينة سأقرئها فلن تكون أكبر من حزني

وأمسك مرة أخرى بها وبدأ يقرأ :

هل تظن انى بخير.... سعيدة... مبتسمة...

بالطبع لا تظن... بل أنت متأكد

لعنتك تلاحقني دائما... في كل مكان.. وكل زمان

نعم تركتك ولم اهتم لمشاعرك للحظة.... فقط اهتممت لأجلي فقط... كنت أنانية... حب الذات.. كان هو المسيطر

نعم اخترت شريك حياتي ليسعدني ويعطيني كل ما تمنيته.... أموال.... قصور.... ياقوته كبيرة

لم ارغب في ما قدمته لأجلي نعم قدمت لي الكثير من... الورود... الدمى... الكلمات.... مشاعر منهالة... كوابل لا ينقطع من السهام

فتدخل الجسد بلا مقاومه.... مشاعر تحتل أي مدينة إلا مدينتي وحصوني

نعم فضلت الثرا!!!!!!ء

نعم كنت سعيدة بتلك الأشياء البراقة... الخداعة....الفاتنة

ولكن سرعان ما تلاشت سعادتي بتلك الأشياء...

لقد تلاشت المتعة... وسراب السعادة....

نعم أنا الجميلة... الرائعة.... أنا الحلم... أنا من يرغب الجميع في جمالي

لقد تزوجت بالأكثر مالا... نفوذا.... هو فقط من يستحق راحة يدي....

بسمتي... حتى غضبي وثورتي

فبعد مرور أيام قليلة.... من زواجنا.. عرفت مقداري لديه.... فانا له كمزهرية نادرة... كقلادة نفيسة... كبعض العملات الأثرية

نعم كنت كشيء يباع ويشترى.... مجرد سلعة....ولكل سلعة ثمن.... وبعد فترة سينخفض ذلك الثمن... فجمالي يتضاءل مثل بدر مكتمل كلما مر عليه يوم تتضاءل هالته حتى يتوه في عتمة شاسعة ولا يبحث عنه احد... وشتان بيني وبين القمر... فجمال القمر سيعود مرة أخرى بعد أيام.... أما جمالي ذاهب بلا رجعة

نعم أنا تحفته.... كمعطف من حرير... كساعة سويسرية مزينة بالماسات

فكان يصطحبني كشيء يتفاخر به في الحفلات... الكثير من الحفلات... حفلات مليئة بسادة العالم... ملوك وأمراء... فنانين ومشاهير... ورجال أغنى من غناء قارون

ما يتم إنفاقه في حفلة واحدة يغني قريتنا بالكامل عقودا من

الملبس والطعام

فجميع نساء العالم تحسدني على هذا الجمال.. الثراء.. وجميع الرجال تحت أقدامي

ولا احد منهم يعرف معاناتي.... فانا مجرد سلعة... جماد...

لقد مللت كل هذه المظاهر.... زوجي الثري... ثري في كل شيء... إلا المشاعر... فقير للمشاعر.. والحب... والكلمات.... والهدايا...

نعم كان يجلب لي كل الهدايا... ماسات... أجمل العطور... حتى عرش الملكة بلقيس

ولكني لا أرغب حقا في هذا.... أشتاق لبعض الورود العطرة احتضنها.... وأضعها في المزهرية.... وألامسها بأناملي... أشتاق إلى دمية احتضنها وتنام بجواري... أشتاق إلى رسالة بها غزل... كلمات... مشاعر

لم أرى في عين ذلك الثري نظرة حب في أي لحظة... نظراته فقط كانت شهوانية.... كان نرجسي.... متعجرف... فقير... بلا قلب

نعم مللت.... نعم خدعتني المظاهر.... فانا الأجمل والأتعس والأسوأ حظا على مر العصور..... أنا لا شيء... فراغ...عدم...

يومي كان يبدأ مع نهاية النهار..... اشتاق إلى شرفتي الصغيرة... اشتاق لشروق الشمس.... ووابل السهام

نعم يا حبيبي.... اشتاق إلى سهامك المارة إلى أعماق قلبي... اشتاق لكلماتك الرائعة.. اشتاق إلى الابتسامة....

فكم جعلتني سعيدة.... نعم كنت لا تملك شيء ولكن كنت تعطيني كل شيء من... اهتمام.....كلمات... مشاعر.. بحار من المشاعر... حتى روحك الرائعة... فلم تمنعها عني

أعلم أن كلماتي لن تصلك أبدًا... فقد علمت أنك امتطيت حصانك

وسافرت إلى نهاية العالم

نعم أنا من جعلتك تعيش غريبًا... وحيدًا... بعيدًا جدًا... أبعد من غروري وكبريائي

كلمات مرسلة من: الأسيرة

وبعد ان انتهى فارس الظلام من تلك الورقة... تركها من يديه فأصبحت على الأرض وبدأ من جديد يحدث تلك الورقة... هذا ما يستطيع فعله... فقط التحدث إلى الأوراق

وقال:

يا أيتها الأسيرة هل تندمين الآن؟ وماذا سيفعل الندم بعد إحراقك مشارق الأرض ومغاربها.. الآن تندمين بعد أن توارى حبيبك عن الأنظار... أصبح ذكرى إنسان

وإلى متى سيستمر ندمك... خريف ؟ عام كامل ؟ حتى لو استمر حتى نهاية الدرب

فأنتِ لا تدرين ألم تمزيق القلوب... ألم كبلورة زرقاء تُسحق كالرمال.. كخوف نسيانك في أبعد المحيطات.. تداهمك ملايين الآهات..

وبدأ يحدث نفسه قائلاً:

أأحتاج إلى المزيد من الأحزان ؟ لماذا معظم أوراقي حزينة... حتى تلك المذكرات أتوقع أن تملئها الأحزان بعد مرور بعض الصفحات... فلهفت وجمال البدايات تمر سريعًا أسرع من رؤيتك لشهاب في أعالي السماء... قد يخونني الظن وتستقر سفينة ذلك الشاب على شواطئ الحب... ولكني لا أظن ذالك

وبدأ العودة من جديد متشوق لاستكمال تلك المذكرات.. فنظر إلى الصفحات المتبقية منها فوجد أنها على وشك الانتهاء فما تبقى

سوى بعض الأوراق البسيطة.

وبدأ في القراءة من جديد

اليوم الجمعة الثامنة مساءً

ما أجمل ما رأيته اليوم... لقد رأيت ممالك تقف في شرفتها تنتظرني... فقد اتفقنا على الموعد منذ يومين... فأنا الأكثر حظًا لقد كانت لحظات رائعة والذي أعطى للقائنا ولرؤيتها جمال هطول المطر المفاجئ... فمشيت ببطء تجاه منزلها وأراها من بعيد وأقترب بخطوات قصيرة هادئة لحظات كانت قصيرة لكن لن ولم أنساها وعندما اقتربت أكثر من شرفتها رأيت أجمل شيء (عينيها) كانت أجمل.. كل يوم تكون أجمل من أمس...

فتعجل فارس الظلام مرة أخرى فمرر عدة صفحات (يريد أن يؤكد ظنونه) فما رآه في تجربته أنساه كيف تُضاء الشموع... كيف تُزرع الورود.... كيف تُغمض الجفون

اليوم الأحد : الساعة الآن السابعة والنصف مساءً

منذ زمن توقفت على الكتابة... وماذا أكتب وأقول ؟ لا أفهم الكثير من الأسئلة

فمنذ انتهاء فترة الدراسة واختفت ممالك فجأة من حياتي... بدون مبررات وأسباب.. فقد اختفت فقط.. وحاولت كثيرًا أن اتصل بها ومررت كثيرًا أمام منزلها ولكني لم استطيع رؤيتها... فقط رأيتها مرة صدفة في الشارع ولكن لم أستطع التواصل معها.... لقد تجاهلتني تمامًا عندما رأتني

لقد اختفت في وقت صعب جدًا.. يتبقى أقل من اسبوعين على خوض الامتحان وهذا الامتحان سيحدد مصيري ومستقبلي..

فمنذ ابتعادها عني فأنا محتار.. محبط.. محطم.. فكنت أفرغ

تلك الشحنات السلبية وكل هذا الحزن في المذاكرة... بدأت أشغل عقلي فقط بالمذاكرة

أنا حزين جدًا

❖ ❖ ❖

اليوم الاثنين ٢٠٠٤/٧/١٢ الساعة الثامنة والنصف

اتصل الآن محمد صديقي وقال أن النتيجة ظهرت

أنا لأول مرة لا أشعر بالخوف والتوتر من النتيجة... لقد ذاكرت كثيرًا كثيرًا جدًا فقد أخذت بكل الأسباب... مؤمن بما سيكتبه الله وسأكون راضي بالنتيجة مهما كانت

الساعة الآن العاشرة مساءً:

الحمد لله حمدًا كثيرًا... لقد وفقني الله ونجحت

أشعر بأني الأسعد في الكون بالرغم أن سعادتي غير مكتملة لبعد واختفاء ممالك من حياتي وشعوري القاصي بسبب غيابها ولكن ما رأيته من فرحه في عين أمي أراح قلبي (اللهم أحفظها من كل سوء)

مرحلة انتهت وستبدأ مرحلة... ولكن لا أنكر أن ممالك تجوب في خاطري دائمًا

لا أستطيع أن أنساها أو أكرهها... أنا أعلم أن هناك سبب ما وراء اختفائها فجأة هكذا ولكن الذي يزيد حيرتي أنها لم تحاول أن تشرح لي هذه الظروف.. أتمنى لها حياة جميلة

❖ ❖ ❖

اليوم الأحد ٢٠٠٤/٨/١٥ الساعة الحادية عشر مساءً

لقد علمت من أحد الأصدقاء خبر حزين جدًا.. لقد تزوجت ممالك.. نعم تزوجت من أحد أقاربها.. أشعر بالحزن والأسى والتحطم... لماذا ؟

وكيف ومتى حدث كل هذا؟ إنها فترة بسيطة منذ آخر مرة رأيتها... هل كانت تخدعني كل هذه الفترة ؟ بالطبع لا فهذه المرة أنا واثق من مشاعرها جيدًا

الكثير من الأسئلة تراودني... لقد كان عندي أمل أن تعود مرة أخرى... ولكن بعد ذلك الخبر ضاعت كل الآمال.... وزاد حزني أكثر وأكثر عما ذي قبل..

سأمضي طريقي بدونها... ولكن من الصعب بل من المستحيل نسيانها فحبها يسري في عروقي.... وحبها أصبح راسخًا في أعماق قلبي

❖ ❖ ❖

اليوم الجمعة ٢٠٠٤/٩/١٧

غدًا ستبدأ الدراسة... حياة جديدة.. جميع أصدقائي يشعرون بالفرحة لدخولهم الجامعة إلا أنا... حزني على ممالك يزداد يومًا بعد يوم... ولكن ستستمر الحياة بشكل أو بآخر... سأحاول أن أركز عقلي في المذاكرة حتى أهون على نفسي قليلاً

الساعة الآن العاشرة والنصف مساءً

❖ ❖ ❖

اليوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٤/١٢/٣١

منذ فترة وأنا متوقف عن الكتابة... سأروي بعض الأحداث التي أتذكرها

منذ دخولي الجامعة وانا اشعر بوحشة...لا أستطيع الدخول في الأجواء مع الأصدقاء الجدد... بداخلي غربة... أشتاق إلى رؤية ممالك مرة واحدة فقط... دائمًا أبحث عنها في جميع الطرق لعلي أراها

مصادفة... لقد التحقت بالمدينة الجامعية فلدي الكثير من الوقت... لكن لا يوجد لدي أي دافع لفعل أي شيء دائمًا أشعر بالكسل حتى معظم المحاضرات لا أحضرها.. فقط أعيش حالة من الحزن على فراق ممالك...

كان هناك فرص كثيرة أن أتعرف على الكثير من الفتيات في الجامعة... وفي كثير من المرات كانوا هن من يحاولن التحدث إلي.. فأصدهم تارة وأتقبلهم تارة.... فلم أشعر بالراحة مع أي فتاة.... حب ممالك لم يفارق عقلي وقلبي... بالرغم من يقيني أنها ذهبت بلا رجعة... ولكن حبي كان أقوى من إرادتي....

الساعة ١٢,٠٥ صباحًا انقضى عام ٢٠٠٤ بالفعل وها نحن في عام ٢٠٠٥ أتمنى أن يكون عامًا سعيدًا على الجميع... أراكم قريبًا

مرت ثلاث سنوات على عدم كتابتي.... فقد عشت سنوات عجاف... مررت بتجربة مريرة هي الأصعب والأقسى والأشد ألمًا... ولكن لن أتحدث عنها الآن

الآن سأتحدث عن شيء حدث لم أتوقعه

طوال السنوات الماضية كنت أتمنى أن أرى ممالك...بالفعل كنت أنظر إلى كل فتاة على أمل أن تكون هي... أبحث في كل الشوارع وفي كل مدينة أمر بها... لا أعرف طريقها ولا أعرف أين تعيش... فخطر في بالي أنها غادرت هذه البلاد نهائيًا... ولكني لم أفقد الأمل... دائمًا أشعر أني سوف أراها في أي مكان وكثيرًا من الليالي كنت أتساءل عندما أراها ماذا سأقول ؟ ماذا سيكون شعوري حينها ؟؟ وبالفعل

لقد قابلت ممالك صدفة في أحد المطاعم.... وجدها تجلس

علـى منضـدة وحيدة... فـي أول لحظة انتابني الشـك أن تكون هي... لـم أتخيـل أن أراها بعـد كل هذه السـنوات الطويلة وبـدون ترتيب... اقتربـت منها بهدوء وألقيت السـلام... فلاحظـت المفاجأة في عينيها عند رؤيتي...فسـألتها : هل أسـتطيع الجلوس ؟ قالت مبتسمة (ولكن ابتسامة مختلفة عن ابتسامة الماضي) بالطبع يمكن الجلوس

وبدأت في الكثير من الأسئلة... وبدأت في الإجابة

وكل ما لاحظته... هو شعوري واللهفة والفرحة المتوقعة أن تحدث عندما أراها بعد هذا الفراق لم أجدها.... هي أيضًا لم أشـعر بحرارة وحفاوة في لقاءها وكلماتها... فكلماتها كانت كالجليد.. كجبال من الجليد... حتى ابتسامتها كانت مصطنعة

وأنا أيضًا... شعرت بأن لهفتي وفرحتي مصطنعة

قمـة الحزن... أن يخدعك خيالك.... يااااه بعد كل هذه السـنوات وبعـد كل هـذه الأمنيات أن أراها لمرة واحـدة... نكون بهذا البرود العاطفي... حتى المكان نفسه أصبح أكثر مللاً... فلم نستمر طويلاً فـي هـذه المسـرحية الهزليـة... فملامحنـا كانـت ظاهر بهـا الرياء والكذب... كشفتنا عيوننا..

ودعتهـا... وطلبت منها رقم هاتفهـا وأعطيتها رقم هاتفي لنتواصل ونطمئن.... ولكني أعرف أننا وصلنا بالفعل لمفترق الطريق... فالبعد ليـس بالمسـافات والغربـة لا تتطلـب أن تتـرك الأوطـان... لقـد ذبلت مشـاعرنا... بل ماتت وشـوهتها الأيـام... فلكل منا طريقـه وقصته.... لكل منا حكايته..... لم أتوقع أن تتحول وتتبدل مشاعرنا هكذا...

إنهـا الأيام ترسـمنا وتصورنا... تنحـت ملامحنا.. فتغيرها لأشـياء وأشكال لم نتوقعها يومًا

فعقـب فـارس الظـلام سـريعًا قائـلاً : ظنونـي أصبحـت حقيقة... القصـص الجميلة تنتهي بشـكل أو بآخـر... وكما ذكرت سـابقًا..

هناك رباط مقدس بين الحب والعذاب.

لا أعرف سبب هذا الارتباط ولكنه واقع مؤكد... وكلما زاد الحب تزايد معه العذاب

ولكن تبقى صفحة أخيرة وتنتهي تلك المذكرات..

لقد سئمت كل هذا أريد الخروج.... لأول مرة منذ زمن ينتابني شعور الرغبة من الخروج من هذا البئر... ولكن كيف سأخرج ؟ لا مخرج لي

سأظل هكذا حتى تنتهي أيامي..

ومسك المذكرة للمرة الأخيرة...

ولكن قبل أن يبدأ في القراءة أخذه التعب والنعاس.

فاستلقى على الأرض مثبت نظره على الأوراق المبعثرة في أرجاء البئر حتى اختفت.

وتحولت إلى طيور في السماء... إنها طيور النورس تملئ السماء.... أصواتها جميلة ورائعة... تشعرك ببهجة... ما أجمل أصوات طيور النورس... فهي تزين السماء الزرقاء... وتجعل الأجواء مفعمة بالفرحة... وما أجمل رائحة البحر.

فكنت أترجل في الميناء متأملاً ذلك المشهد الساحر... كلوحة أعظم فنان...

سمعت نغمات جميلة تخرج من ذلك المقهى المتواجد قبل نهاية الميناء بقليل... إنها فرقة تعزف بآلات وترية... كمان... جيتار... ومعهم بيانو أبيض ملكي... كالعرش الملكي.... وتجلس عليها ملكة الكون... نعم كانت فتاة تجعل القلب يذوب... تداعب أناملها الملساء أزرار البيانو البيضاء والسمراء... كأنها ترسم أجمل اللوحات... فألحانها ككل الألوان... نعم جعلت قلبي يذوب...

فاحتسيت فنجان من القهوة وكل رشفة أجدها بأشهى النكهات.. فألحانها غيرت معاني الكون.. ومعنى كل الأزمان... حتى انتهت من ألحانها... وقفت مسرعًا أشجعها بدون تفكير.... كمسحور... كمفتون... كمجنون ليلى... فابتسمت لي في خجلاً...

ما أجمل وجهها... فطلبت منها أن أتحدث معها قليلاً... فقالت: سفينتي على وشك المغادرة

فتعجبت قائلاً: ألستِ من هذه الأوطان ؟

قالت: لا... فبلادي خلف هذه البحار

فقلت لها: سأذهب معكِ إلى نهاية كل البحار والوديان

فابتسمت قائلة: سأنتظرك في تلك السفينة البعيدة.... فلا تتأخر فإذا جاء موعد السفرِ انتهت كل الأعذار.

فأخذت مسرعًا أجمع أشيائي... وركضت خلفها.... فأنا أراها تقف في أعلى السفينة تنتظرني... اقتربت واقتربت..لم يتبقى سوى خطوة واحدة وأدخل السفينة... ولكن زلت قدماي فسقطت في البحر

وبدأ يزول كل شيء فبدأت الأصوات في التلاشي شيء فشيء... وطيور النورس بدأت تختفي...

فأخذ يفتح عينيه رويدًا رويدًا... مبتسمًا بسخرية قائلاً: لماذا لا تكتمل أحلامي في كل مرة... في كل مرة تنتهي بألم... في كل مرة تنهش جزء من روحي

وبدأ فارس الظلام يجمع قواه واقفًا على قدميه وكان في وسط البئر تمامًا مكتوف الأيدي متأملاً في ذلك الضوء البعيد جدًا.. انه فوهة البئر... إنها النقطة البيضاء التي يبدأ منها الهبوط إلى هنا

متسائلاً الى متى سأظل هنا!!!؟؟!!!

فها هو يقف... قريب من الحائط

يضع جبهته على ذلك الجدار... المليء بالدماء وآثار الغدر

ما هذا ؟؟ ماذا أرى؟!!!

أنها قطع الثلوج بدأت تتساقط من الأعلى...

نعم انه فصل الشتاء...

كنا في مثل هذه الأيام في الماضي...

نحب أن نلعب ببلورات الثلج البيضاء..

كانت ضحكاتنا أجمل من لون الثلوج...

كم من أشكال رسمنا...

كم من مرات رشفنا بعضنا البعض بتلك الشظايا

كانت اياااااااام..لكن انتهت... ذهبت بعيدًا عنا

أم أنا الذي تركتها باندفاعي وراء الأوهام... الحب... الأحلام

لكن هذه كرات الثلج تتساقط بكثافة..

تسقط بسرعة وبعدد لم أراه من قبل...

خلال دقائق أصبح الثلج يغطى ساقية تمامًا...

الآن الثلج وصل إلى صدره...

ولكن تلك كرات الثلج تسبب له الألم...

فهي مثل الحجارة...

صلبة... قاسية... هي ليست كالماضي حقًا

فأصبح الثلج يغطى جبهتي وأحاول أن ارفع نفسي قليلاً لا أستطيع التنفس...

ها هو يرفع قدميه ويرتفع لأعلى قليلاً...

ظل هكذا..

تتساقط الثلوج... يتألم... يرتفع إلى الأعلى قليلاً...

ذابت بعض الثلوج الموجودة بأسفل قدميه...

ها هو يهبط مرة أخرى... وما زالت الثلوج تنزل بكثافة

المكان أصبح مليء بالثلوج..... الجو هنا بارد جدًا...

ما اقسي ذلك...البئر بدأ يمتلئ بالماء الناتج عن ذوبان تلك الثلوج...

الماء أصبح لونه اسود... بسبب الحبر الموجود على تلك الأوراق المتناثرة فيكل مكان

الماء اخذ لون آخر... وهو لون الدم المتراكم على جدران وجوانب البئر

أصبح الماء لونه قاتم.. لون موحش.. يتعب قلبك عند نظرك إليه..

لقد ذادت كمية الثلوج الهابطة على جبهتي.... على ذراعي... على كياني

بدأ الماء يلجمنى...

ها أنا لا استطيع أن أقاوم...

هو لا يستطيع أن يسبح...

هو يفكر... متوتر... خاااااااائف

هل هذه نهايتي ؟؟

ها هو يحاول الصمود... ويده بدأت تتحرك بشده لينقذ نفسه من الغرق...

فتارة... يفقد الأمل ويترك نفسه حتى يغوص في الماء ويشرب.. ماء العذاب

وفي الأخير يتمسك بالحياة ويحاول أن يقاوم...

ظل هكذا...بين يأس وأمل... حياة وموت....

والماء يرتفع به أعلى وأعلى...

ينزل تحت الماء عنوة عنه... زخات الماء تدخل إلى فمه رغمًا عنه

مـاء ملوث بدماء وكلمات...لقد شـرب كثيـرًا رغمًا عنه من ذلك الماء...

فكلما هوى إلى الأسفل يشرب القليل...

الآن تعب من التجديف...تحرك تجاه جانب البئر... ومسـك بخنجر من خناجر الغدر...الدمااااااء تسـيل من يديه اليسرى...تحمل... تألم... تعب

استخدم يديه الأخرى...حتى نزفت هي الأخرى...

يا له من عذاااااااااب...

وفي ظل تلك المعاناة ها أنا أعاتب نفسي.... أنا لم اكف عن عتاب نفسي للحظة منذ سقوطي

فجلد الذات أدماني..ها هي الدماء تسيل من يديه..

يغطيه ماء العذاب.. الخيانة... الألم..

قواي بدأت تنهار... بدأت تذوب كذوبان قطع الثلوج

المـاء مـا زال يـزداد بـرودة.. أنـا احتضـر... في كل دقيقـة مئات المرات..

وما زال الماء يرتفع بى أكثر وأكثر

مع نزول قطع الثلج أتألم... والماء يزيد برودة.. وأتألم

أجلـد نفسـي.. وأتألم.. ولكن ما زالت هنـاك بقايا قوى ورذاذ من الأمل...

وكثيرًا من اليأس.. كثيرا من... الألم... الحزن... التحطم

ها هو يقترب من فوهة البئر...

لكنـى لا اسـتطيع أن أرى البداية جيدًا..لا اسـتطيع أن أرى حافة البئر.

دمرني الحب... أخرسني وأعماني..

ها نحن نقترب من فوهة البئر... نقترب من البداية

أتتذكرون البداية ؟؟

ولكن قد انهارت قواي ولا استطيع أن افتح عيني الممتلئة بالدموع إلى حافة البئر

لقد تماسـكت لوقت قليل... والآن أحاول مرة أخرى حتى شـعرت بها..إنها البداية....

وبدأ يحاول الخروج

يا لها من شيء شاق أن تخرج من هنا!!!!!!!!...

لقد حاول فارسي أن يخرج ويستحضر كل قواه... وبالفعل استطاع

وعندما خرج بدأ ينظر إلى العالم....

لقـد تغير.... تحول.... أصبح غريب... أين اللون الأخضر الذي كان يكسو المكان

أين الفراشات التي كنت اركض خلفها....

أين الزهور.... وأين الربيع؟؟

وبدأ في الجلوس..

ها هو يجلس على الأرض متكئًا على جانب البئر

فاقد الصوت... شاحب الوجه.... جاف الدموع

ويتنفس بأنفاس خفيفة.. ضعيفة... مجرد احتضار

في الظاهر مثل الجبل العالي... ولكن بداخله بركان.... حمم...

وبدأ يفكر فيما حدث... ويحدث نفسه قائلاً:

أنـا لا أريد أن يقع أحدًا في تلـك الظروف... في تلك العقبات... في ذلك المكان

أنا أخاف على أي شخص مهما كان.... أن يأتي إلى هنا

فمن الصعب أن يتحمل أحدًا ذلك...

وإذا به وهو يحدث نفسه... يسمع صوت..إذا بشاب

حزين... عينه مليئة بالدموع... وملامحه تدل على حزن مرير

ذلك الشاب واقف على قدميه... يده على حافة البئر... يطيل النظر إلى الماء.... انه ماء العذاب.. وأثناء وقوفه وبكاءه تحدث إلى نفسـه... وظن نفسه الوحيد في المكان

فتحدث بكل صراحة... دون خجل.... بتلقائية... دون خوف

قائلاً:

« هـي تركتنـي... بعـد أن ضحيت لأجلها... وكنـت الأفضل معها دائمًا... جرحتني... خدعتني... وذهبت

حتـى أنهـا لم تكتفـي بالذهاب... ولكـن دمرتني.... سـوف ألقى بنفسي في ذلك البئر لعل الموت يكون ارحم "

فعندما سمع فارس الظلام كلامه نهض سريعًا وبقوة

وأمسك بذلك الشاب... وبدأ يحدثه بما تبقى له من... قوة... صوت... عقل.

فقال له:

أحقًا تريد أن تلقى نفسك هنا ؟؟ وماذا بعد ذلك ؟؟

هل ستعود إليك أيامك ؟؟ أم تتحقق أحلامك ؟

هل سـتعرف حبيبتـك ما فعلت لأجلهـا ؟؟؟!!! حتى ولـو علمت بما حدث لك ماذا ينفع وقتها ؟ استفق يا بني... استفق.

ثم مسك بكتفه وقام برجفة بقوة

وقال له:

أنت قد خُدعت... ولكنك لم تُنفى إلى مكان من الصعب أن تعود منه (يقصد بئر الظلام)

لقد عشت أيامًا وحقيقة.... ولكنك لم تدخل عالم الأحلام ومن بعدها إلى عالم الأوهام... الأحزان

لقد كنت الأفضل.... ولكنك لم توفق... أنهض يا بني.... تماسك نفسك.... ارجع إلى وطنك... فهناك أناس ينتظرونك

فأنت ما زلت تملك الوقت... ما زلت هنا في القمة ولست في القاع (يقصد قاع بئر الظلام)

قال الشاب: أتعرف ماذا قالت في اللقاء الأخير

قلت له ماذا قالت ؟

قال:

عند أخر لقاء.. سألتها سؤالا أخير

هل أحببتني يوما؟

قالت نعم...

فكان حبي لك

كجبال الجليد

التي تكون شامخة في الشتاء... ومنكسرة في الصيف

كالفراشات...

منتشرة في الربيع... ومتوارية باقي الأيام

كالبدر

مكتمل فقط لساعات...

كمعطفي... لا اكف عن ارتداءه في الشتاء.. وأتجاهله باقي العام

وأخذ بالبكاء بشدة

فقال له فارس الظلام:

سأتركك تلقى بنفسك في ذلك البئر ولكن.....

هل تعرف ما هذا الماء الموجود بذلك البئر....

فمد يده واخذ قليلاً من الماء... وقال له تذوق يا فتى من ذلك الماء الذي تريد أن تلقى نفسك به.. فتذوق الفتى الماء... وإذا به يصرخ من شده مراراته... ما هذا أيها الرجل ؟

انه ماء مليء... بالدموع.. الدماء... وكلمات

كان قديمًا قبل أن يصبح هكذا مليء بجراح شخص على جوانبه وكانوا قديمًا يكتبون الكلمات الحزينة ويلقونها في ذلك المكان...

ارجع يا بني.... فلقد تركتك ولكن في مكان تستطيع منه العودة...

انهض وابدأ من جديد.... فهذه تجربة... قد تراها الأصعب على وجه الأرض

قد تظن نفسك أكثر إنسان مجروح.... ولكن انظر إلى ذلك المكان فهو فعلاً سيجعلك الأكثر حزنًا في العالم

فنهض الشاب... وكان بحاجة لأحد أن يحدثه

واخذ بالحديث مع فارس الظلام.... وبدأ يروى قصته

ويحكى... ويخرج كلمات تكاد أن تحترق في قلبه

وفارس الظلام يصغى جيدًا له... وبصدر رحب ولكن أثناء سماعه للحديث يشعر بالألم.... برغبة في البكاء لأنه كان يتمنى أن يكون مكان ذلك الفتى.... لأنها كانت بالنسبة إليه مجرد مزحة.... مجرد

شيء بسيط

وظل الفتى يحكى ويسرد ويتذكر.... وانتهى من كلماته التي كانت بداخله.

فبدأ فارس الظلام بالرد عليه... قائلاً:

ابتسم يا بني.... لقد تعلمت شيء جديد لم تكن تتعلمه في حياتك إلا إذا حدث ذلك..

ابتسم يا بني.... لقد كنت الأفضل... كنت الأحسن.... وكنت مظلوم ولست ظالمًا..

ابتسم يا بني... لقد وجدتني قبل أن تلقى نفسك هنا.

هيا..... ابتعد عن هنا ولا تفكر في العودة هنا مرة أخرى... مهما كانت الظروف...

مهما أصبحت الحياة قاسية عليك لا تأتى إلى هنا أبدًا

واجه مشكلاتك... ولا تخف.... أنت ما زلت هنا في القمة

ونظر إلى البئر وهو يهز رأسه... وبصوت منخفض..... أنت ما زلت بالقمة

.... أنت ما زلت بالقمة يا فتى

فنهض الفتى.... وودعه وبدأ في الذهاب

ها هو الفتى يسير ويبتعد عنا....

وظللت كما أنا انظر إليه وهو يبتعد عن ذلك المكان..... ظللت انظر إليه فترة طويلة حتى اختفى عن نظري.. نعم لقد اختفى عن نظري... وابتعد عن البئر

ها هو يفكر من جديد.... وماذا بعد أن خرجنا من هنا !!

لقد قرر أن يعود إلى الديار.... لقد اختار العودة.... واختار النسيان

أنـا اعلم أن النسـيان.... سـيأتي سـواء بعد يـوم.... شـهر... أو حتى سنوات

أعلم انه سيأتي لا محالة.....

فبـدأ بطلنا ووقف مرة أخرى على قدميه ونظر حوله... ونظر نظرة أخيـرة علـى البئر وبدأ يـودع المكان الملـيء بالدمـوع والذكريات الحزينة

وجـد أن هناك أوراقًا تطفـو على المياه.... فأخذهـا.... إنها أوراقه القديمة.... التي كانت ترافقه في القاع

لكـن الآن ليـس لها أي معالم.... لقد ذابـت الكلمات في الماء.... فأصبحت مجرد طلاسـم.. ها هو أخذها جميعًا.... أوراق بها كلمات ليس لها معاني.... ولكن لها قيمة.. انها ذكريات وبدأ بالمشـي تجاه الديار.....

يمشى بخطوات بطيئة.... خائف.... حائر..... قد لا يعرفني الناس.... فقد تغيرت ملامحي لقد تعبت... أرهقت... وذبل الربيع من عيني

ها هو يبتعد شـيء فشـيء عـن البئر..... وكل بضـع من الخطوات ينظر خلفه إلى البئر..... حتى اختفى البئر

وإذا بشجرة كبيرة..... جلس ليستريح تحت ظلها قليلاً....

هـا هـو يجلس يسـند بظهره علـى الشـجرة..... وإذا ينظـر يجد أن هناك نقوش على تلك الشجرة

إنها حروف... كلمات.... قلوب مرسومة يمر بها أسهم.... إنها قلوب العشاق.

فابتسم.... وقال: هل ضاقت بى الأماكن حتى آتى إلى هنا وجلس

فأخذ بحجر صغير وبدأ هو الآخر ينقش على الشجرة وكتب أول حرف من أسمة ثم في الاتجاه الآخر علامة استفهام

فأخذت ذلك الشكل

؟ &....

وهذا يعنى انه لا يعرف من ستكون في الجهة الأخرى

ومسك بعصا صغيرة..... وبدأ بالرسم على الأرض.... هو يحب أن يرسم العيون... انه أكثر شيء يفضله.... لان العيون لا تكذب ابدأ ولكن للأسف قد تكذب في بعض الأحيان

فبدأ يرسم...ورسم على الأرض صورة لعين..... أنه ما زال يرسم عينيها دون يشعر

في كل مرة يحاول أن يرسم صورة لعين إنسان تكون عينيها..... إنها ما زالت بقلبه وهو لا يدرى....

ظل هكذا لوقت ليس بطويل.... يمسح ما يرسم ويعاود رسم العين مرة أخرى.... وفي الأخير تأخذ الشكل المألوف عنده...

انه يفضل تلك العين.... إنه ما زال يحبها ولكن لا يشعر

ها هو مرة أخرى ينهض ويبدأ المشوار من جديد.... انه طريق العودة

وفي الطريق لاحظ أن الحياة اختلفت..... أين البراءة ؟؟؟ أين الطفولة ؟؟؟ أين اللون الأخضر الذي كان يكسو تلك المساحات الكبيرة من الطريق ؟

وها هو يجد من بعيد مدينة جميلة...ولكنها بعيدة

هو يقترب منها ويقترب..ها هو ينظر.... وإذا بمدينة أسوارها عالية.... أبوابها بيضاء..... من حولها الأزهار بكل لون

وسأل نفسه..... ما هذه المدينة الجميلة ؟؟

لقد اقتربت منها..... لقد عرفتها.... إنها مدينة الحب....

وبدأ مرة أخرى يتساءل....

هل هي فعلا جميلة من الداخل ؟؟؟

ويجيب على نفسه.... لا لا لا إنها ليست كذلك.... لقد حاولت الاقتراب من احد سكانها وفعل بى كل هذا

لقد أصابني بشدة في قلبي.... عصف بوجداني

لا سوف ابتعد عنها..... عن أبوابها.....عن سكانها

فالمدينة في طريق عودته للديار... فلا بد أن اقترب منها عنوة عنى.... لأنها بقارعة الطريق....فاقترب منها....

فوجد أناس يقفون على باب مدينة الحب.... يأملون أن يدخلوها.....

يحلمون بها كل ليلة.... إحساسهم يكاد يحترق..... يتخيلون.... يتحدثون.... يجمعون الزهور.... يتمنون أن يقدموا الهدايا... يصرحون عن ما يدور بقلوبهم... كتبوا كلمات ورسائل.... لكن بلا عنوان

متى سندخل إلى هناك ؟؟ لقد انتظرنا طويلاً

فاقترب منهم.... وفي يده مجموعة الأوراق العتيقة

فنظروا إليه..... فتعجبوا... وتساءلوا.... من هذا الرجل ؟؟؟

فأجابهم قائلاً.....

إنسان..... عُبثت بأحلامه..... قُضيت على آماله..... انكسرت ابتساماته

فقالوا له.... ومن فعل ذلك بك أيها الرجل ؟؟

قلت لهم..... انه قلبي.... كان وراء ذلك

ها أنتم ما زلتم بخارج أسوارها.... تنتظرون وتتمنون أن تدخلوا إلى مدينة الحب.... لأنكم تتصورون أنها روضة مليئة بالسعادة

نعم هي بها أزهار.... ولكن بها اشواااااااك.....

نعم هي بها ابتسامات.... ولكن بها دموع

نعم هي جميلة..... لساعات.... ولكن مؤلمة لسنواااات

فقالوا له..... لا أنت متشائم.... أنت لا تعرف شيء

قلت لهم: نعم أنا لا اعرف شيء.... لكن كل ما اعرفه حتى الآن

هو أنى انتظرتها طويلاً وأتت.... وعندما جاءت..... سبحت بأفكاري....سافرت مع أحلامي.... وفي النهاية

وفي النهاية..... جعلتني أخاف من البداية..... بداية الدخول مرة أخرى إلى مدن الحب

قالوا له..... لا تخف حاول مرة أخرى..... من قديم الأزل ونحن نقف ننتظر الدخول بداخلها... وأنت تقول لنا تلك الكلمات المخيفة

تعالى معنا ولا تخف

فابتسمت وقلت..... هذه الكلمة لثاني مرة اسمها..... تعالى معي ولا تخف

لقد سمعتها من قبل... وصدقتها.... وفي النهاية أصبحت كما تشاهدونني....

وبعينكم نظرة الشفقة.... لقد رأيتها بعينكم...

سأذهب بعيدًا عن هنا.... سأذهب إلى الديار

لأني متعب.... والقلب لا يتحمل المزيد..... القلب لا يتحمل المزيد

وتركهم وترك مدينة الحب خلفه..... تركها بكل ما فيها.... سعادة وحزن... ضحكات وبكاء.... رسائل وكلمات بعنوان ومن غير عنوان

وأكمل طريقة..... وهو يحدث نفسه

هل أنا مخطئ ؟؟؟

قد أكون أو لا أكون

أنا الآن في حالة لا استطيع فيه الحكم الجيد على كل شيء.....

وكان أحد جدران مدينة الحب مدون عليه كتابات ونقوش كالنقوش الفرعونية..... قديمة... عتيقة فشد انتباه تلك الكلمات ومن ضمنها كلمات قصيدة :

ممنوعة أنتِ من الدخول يا حبيبتي عليا.... ممنوعة أن تجلسي أو تهمسي أو تتركي يديك في يدي..ممنوعة أن تحملي لي دميتًا أحضنا.... أو تقرئي لي قصة الأقزام والأميرة الحسناء والجنية

فقال لنفسه: أنها كلمات من قصيدة كم سمعتها وتأثرت بها... ولكن

هل لو كنت مكانة هل كنت سأرفضها لهذا الحد ؟؟؟

نعم سأرفض..... كيف سأسمح لها بالعودة لي بعد ما فعلته بى

على ما اعتقد أنها إذا عادت لن أعود (إنه يعتقد فقط وليس متأكد فقد كان نسيانه مصطنعًا... كغيمة وارت ضوء الشمس للحظات... لا الشمس غابت ولا الغيمة بقيت)

فذهب إلى الجدار..... ليدون شيء رغب أن يكون مكتوب بجوار تلك الكلمات.....

فكتب: أحلامي كالفقاعات الجميلة ولكن للأسف سرعان ما تنتهي

ثم انصرف متوجهًا إلى الديار

انتظرونا في الجزء الثاني (رحلة العودة)